التوحيد

صفة الإمام العادل

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٤٨٥ - السنة الحادية والأربعون - جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ
الثمن جنيهان

مولد سيدي الرئيس

طوبى للشام !!



الحقد النصيري على أهل السنة

لا يا فضيلة شيخ الأزهر ؛ بل النقل حاكم ومُقدَّم على العقل

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الحادية والأربعون

العدد ٤٨٥

جمادى الأولى ١٤٣٣هـ



التحرير

٨ شارع قولة عابدين. القاهرة

ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت:٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٤٥٦-٢٣٩١٥٥٧٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

السلام عليكم

«مولد سيدي الرئيس» !!

أقصى اليمين وأقصى اليسار.. في الوقت الذي كانت فيه رياسة الجمهورية حِكْرًا على شخص واحد لا يَسمحُ لأحد بالترشح ضده، إلا أن يكون معاقًا محكومًا عليه سلفًا بالفشل والإخفاق ومن أول وهلة؛ ليَبْقَى الرئيس الأوحد من الطراز الفذ الفريد الذي عَقمَتْ النساءُ أن تلد مثله؛ فإننا نرى في المقابل في عصر ما بعد ٢٥ يناير الإسرافَ في الترشح للرياسة التي هي كالإمامة العُظْمى، والتي لا يدركُ الضعفاءُ البسطاءُ غيرُ المؤهلين أنها أمانةٌ، وأنها خزيٌ وندامةٌ يومَ القيامة، حتى أظهرت أعدادُ المتقدمين بالمئات وكأننا مُقْبلونَ على حلقة الخضار، وسوق السمك! ليرى الناخبون بعد ذلك أنفسهم متوجهين لاختيار الشخصية المناسبة للرياسة مِنْ «مولد سيدي الرئيس»!!

التحرير

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

في هذا العدد



الآن بالمركز العام

المجلد الجديد لعام ١٤٣٢

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولارا أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة «حساب رقم / ١٩١٥٩٠»

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكترونى التالي :

q.tawheed@yahoo.com

التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

الحقد النصيري على أهل السنة

الحمد لله الملك القدوس، بيده مقاليد كل شيء وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.. وبعدُ:

فإن مذهب الباطنية من أخبث المذاهب وأفسدها، وهم أعدى أعداء الأمة الإسلامية في الماضي والحاضر، ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة، فكم تآمروا على المسلمين، وسفكوا دماءهم!! بل مكّنوا لأعدائهم من الاستيلاء على بلادهم، وقد تولى كِبَر الدعوة إلى الباطنية فريقان:

الأول: فريق المنافقين الذين ضعفت نفوسهم عن قبول الإيمان وما استطاعوا الدخول فيه، فأعلنوا في الظاهر إسلامهم، وأخفوا عداوتهم وضلالاتهم له تحت ستار حب آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

والفريق الثاني: أعداء الإسلام من اليهود والنصارى الذين غاظهم انتشار الإسلام وسمو دعوته، فوقفوا مع الفريق الأول متآزرين متعاونين للنيل من الإسلام والمسلمين.

وقد ذكر البغدادي - رحمه الله - شدة عداوة فرق الباطنية للإسلام، وبيّن أن ضررهم أخطر وأعظم من سائر الكفار فقال: «اعلموا - أسعدكم الله - أن ضرر الباطنية على فِرَق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره؛ لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يومًا، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر». [الفرق بين الفرق: ٢٨٢].

قلتُ: رحم الله البغدادي، يذكر هذا عن ضررهم وقد توفي في القرن الخامس، فماذا يكون حاله وقوله لو رآهم الآن؟! وهم أشد وأعظم ضررًا وفتكًا، ويؤكد ابن تيمية - رحمه الله - على عداوتهم المفرطة للإسلام وأهله، ويبيّن شيئًا من أفعالهم المنكرة فيقول: «ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة وكُتب مصنَّفة، فإذا كانت لهم مُكْنَة سفكوا دماء المسلمين، كما قتلوا مَرة الحُجّاج في بئر زمزم، وأخذوا مرة الحجر الأسود وبقي عندهم مدة، وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى، وصنّف علماء المسلمين كتبًا في كشف أسرارهم وهتك أستارهم، وبينوا فيها ما هم عليه من الكفر والزندقة والإلحاد الذين هم به أكفر من اليهود والنصارى، ومن براهمة الهند الذين يعبدون الأصنام.

ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائمًا مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل وانقهار النصارى، بل ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ثم إن التتار ما دخلوا بلاد المسلمين وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم». [مجموع الفتاوى: ج٣٥/١٥٠، ١٥١].

والنصيرية التي أود الحديث عنها هنا هي حركة باطنية غالية ظهرت في القرن الثالث الهجري أتباعها من الشيعة الغلاة الذين يزعمون أن عليًا - رضي الله عنه - فيه جزء إلهي، وأنه يحل في أئمتهم الواحد بعد الآخر، وتنتسب هذه الطائفة إلى رجل يسمى «محمد بن نصير النميري»، وكنيته أبو شعيب، وإليه تنسب تلك النِّحْلَة فيقال: «النصيرية»، وهذا الرجل كان شيعيًا مغاليًا من الاثنى عشرية، وأصله من بلاد فارس، وقد عاصر مؤسسي هذه الفرقة ثلاثة من أئمة الشيعة وهم «علي الهادي» الإمام العاشر، و«الحسن العسكري» الحادي عشر، و«محمد المهدي»

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الثاني عشر على حسب زعمهم، وهو إمام موهوم لا وجود له، وقد بدأت ضلالات ابن نصير حين زعم أنه الباب للإمام الغائب الثاني عشر عند الشيعة، ومعناه عندهم: أنه وارث علمه ونائبه، وقد قامت هذه الخرافة عندهم بناءً على معتقدهم الفاسد، وهو أن الزمان لا يخلو من وجود إمام معصوم يتولى تصريف شئون الناس، وإلا لتعطلت الحياة بزعمهم، ولما كان الإمام مختفيًا غير ظاهر، فكان لا بد من باب إليه يكون حلقة الاتصال بين الناس والإمام المزعوم المستور، فكان هو «ابن نصير»، ثم زعم هذا الضال النبوة والرسالة لنفسه، قال عنه عبد الحسين العسكري: «وقال ابن نصير: بربوبية أبي الحسن العسكري، وزعم أنه نبي ورسول بعثه أبو الحسن». [العلويون، ص ١٥].

وقد تبنى أفكار ابن نصير من خلفوه على ضلالاته، بل زادوا عليها، ومن أشهر هؤلاء «عبد الله بن محمد الجنبلاني»، نسبة إلى بلدة «جنبلا» في العراق، وكان ذا علم وفلسفة وتصوف، فأسس الطريقة الجنبلاية التي سعى فيها إلى إدخال كثير من الناس فيها، وأصبحت صفة «الجنبلانية» تعادل صفة «العلوية»، وقد أصبحت النصيرية في عصره تجمع بين ثلاث عقائد هي: التشيع، والاعتزال، والتصوف، وقد نشأ في مدرسة الجنبلاني «حسين بن حمدان الخصيبي» الذي كان قد التقى بشيخه حين زار مصر، وتعلق به ودخل في طريقته، ورحل في إثره واستقر عنده حتى ذاع صيته، وبعد وفاة شيخه «عبد الله الجنبلاني» تقلد الخصيبي زعامة النصيريين من بعده، وقد كان له تأثير قوي وواضح في الدعوة إلى النصيرية، وقد رحل إلى كثير من البلاد كبغداد وخراسان وديار ربيعة وتغلب، ومن هنا صار ألمع رؤساء النصيرية وأكثرهم أثرًا في تثبيتها، حتى صار يلقب بـ «شيخ الدين»، وقد نظم وسائل الدعاية للمذهب وألف فيه كتبًا كثيرة ملأها بكثير من الضلال، ومن كتبه: «الهداية الكبرى، وأسماء الأئمة، والإخوان». وقد ذكر ابن حجر أنه صنف في مذهب النصيرية واحتج لهم، وكان يقول بالتناسخ والحلول. [لسان الميزان ج٢/٣٤٤].

ولقد تناوب على رئاسة النصيرية بعد الخصيبي عدد من الرؤساء الذين لم يبلغوا شأوه من أمثال: «محمد بن علي الحلبي»، و«أبي سعيد الميمون الطبراني»، الملقب بشيخ الديانة العلوية، و«حسن المكزون النجاري»، ويعد النجاري هذا من أقوى رؤسائهم، وقد ضعفت النصيرية بعد وفاته.

يقول الدكتور سليمان الحلبي عن النصيريين بعد وفاته: «وبعد وفاة الحسن المكزون تفرق النصيريون إلى عدة مراكز دينية غير مرتبطة ببعضها البعض، يتبوأ كلاً منها مرجع ديني يطلقون عليه لقب الشيخ، واستقل كل شيخ برئاسة مركز صغير إلى أن استطاعوا بالأمس القريب وفي غفلة المسلمين في سوريا وغيرها من السيطرة على نظام الحكم في سوريا، فعادت لهم سطوتهم وقوتهم مرة أخرى يتحكمون بها في رقاب المسلمين». [طائفة النصيرية/٤٢].

وأشهر شخصيات هذه الطائفة في العصر الحديث المدعو «سليمان أفندي الأذني» المولود سنة خمسين ومائتين بعد الألف من الهجرة النبوية في أنطاكية، وقد تلقى تعاليم هذه الطائفة حتى صار من علمائهم، لكنه اعتنق النصرانية وألف كتاب «الباكورة السليمانية» كشف فيه عقائد وأسرار النصيريين التي لا يُظهرونها لأي أحد، وقد دفعهم ذلك إلى استدراجه إلى اللاذقية بعد أن طمأنوه، ثم وثبوا عليه وقتلوه خنقًا بإحدى الساحات هناك، وهذه الطائفة الباطنية عُرفت عبر تاريخها الطويل باسمها الأصلي وهو «النصيرية»، نسبة إلى ابن نصير كما تقدم ذكره، غير أن بعض الباحثين وهو المستشرق «ريسو» ذهب إلى أن تسميتهم بذلك ترجع إلى وجود صلة ومشابهة كبيرة بينهم وبين النصارى في التقاليد والطقوس والأعياد، وتقديس كل منهم للخمر

النصيريون فريق من المنافقين ضعفت نفوسهم عن قبول الإيمان وما استطاعوا الدخول فيه ، فأعلنوا في الظاهر إسلامهم ، وأخفوا عداوتهم وضلالاتهم تحت شعار حب آل البيت !!



والوقوف إلى جانب بعضهم البعض في الأوقات الحرجة، وما ذكره المستشرق «ريسو» عنهم في سبب تسميتهم بالنصيرية يؤيده ما ذكره الدكتور «حسن إبراهيم» الذي يقول: «وثمة تفسير آخر لا يزال مألوفا عند السُّنيين الذين يجاورونهم، وهو أن لاسمهم صلة بلفظ «نصراني أو نصارى»، ومما يزكي هذا التفسير أن النصيرية لا يزالون يمارسون بعض طقوس النصارى، كالاحتفال ببعض الأعياد النصرانية مثل: عيد الميلاد، وعيد الفصح، ويعتبرونها من الأعياد الكبرى، كما أن بعضهم يحمل أسماء نصرانية مثل: «متى، ويوحنا، وهيلانة»، وبالإضافة إلى المبادئ التي اقتبسها النصيرية من النصرانية، فإن ديانتهم تحتفظ بقسط وافر من الأسرار، وما تزال تحتفظ بمعالم واضحة تنبئ عن معتقداتهم التي هي مزيج من عناصر غير متجانسة تمامًا، كما تقوم على أساس نظام ديني يتصل بعبادة النجوم والكواكب، وقد اقتبست هذه التعاليم في القرون الأولى للعصر المسيحي بعض المبادئ الروحية عند المسيحيين، ويقوم نظام النصيرية على التجسد، ويدور حول هذه الأسماء الثلاثة التي تكوّن التثليث الشبيه بتثليث النصارى، ويتمتع هؤلاء بالوحدانية والخلود، وهذه الأسماء الثلاثة التي يرمزون إليها في قائمة مذهبهم هي التي تكوّن تثليثًا شبيهًا بالتثليث الكائن في النصرانية، ويرمز إلى هذا التثليث عند النصيرية بحروف (ع. م. س) ويقولون: إن الله حل في ثلاثة هم: علي ويرمزون إليه بالمعنى، ومحمد ويرمزون إليه بالاسم، وسلمان الفارسي ويرمزون إليه بالباب». [تاريخ الإسلام السياسي (ج٤/٢٦٥)].

وفي أوائل القرن العشرين تكون في سوريا حزب سياسي اسمه: «حزب الكتلة الوطنية»، وكان النصيريون في ذلك الوقت لهم تأثير سياسي في البلاد، فأراد مؤسسو حزب الكتلة الوطنية أن يضموا النصيريين إلى حزبهم ليضمنوا أصواتهم وتأييدهم فأطلقوا عليهم اسم «العلويين» نسبة إلى الإمام علي رضي الله عنه، وقد شاركت فرنسا في إطلاق هذا الاسم عليهم، بل أسسوا لهم دولة أطلقت عليها «دولة العلويين»، وقد أعجب النصريون بهذا الاسم، وأصبح منذ ذلك الوقت عَلَمًا عليهم، وأضحوا يحرصون عليه جدًا، ويرفضون اسمهم الأصلي، وقد تمكنت هذه الطائفة من التسلل إلى الأحزاب السياسية في سوريا، واستطاعوا من خلال بعض التكتلات الحاقدة على الإسلام والمسلمين كالبعثيين والقوميين أن يستولوا على الحكم في سوريا، وما زال نفوذهم وتمكنهم في البلاد حتى الآن، وقد عاثوا في الأرض فسادًا، وتربصوا بأهل السنة الدوائر، فلا تمر فرصة أو مناسبة إلا أوقعوا بهم أشد ألوان الفتك والتعذيب، وقد تحولوا في الفترة الأخيرة إلى وحوش ضارية على المسلمين أصحاب العقيدة الصحيحة في بلادهم، وأقرب مثال إلى ذلك ما يجري الآن من هؤلاء في سوريا، من قتل للأبرياء وسفك للدماء، ونال ذلك الرجال والنساء، بل والأطفال دون رحمة أو لين، وكم ذهب جراء ذلك أنفس كثيرة، وما من فتنة تثور ضد المسلمين من أهل السنة إلا وهؤلاء النصيريون في خندق واحد مع عدو المسلمين ضد المسلمين، وموقف الرافضة في إيران وحزب الله في لبنان دليل واضح على ذلك.

إن الأعمال التي تجري في سوريا اليوم من هؤلاء النصيريين ضد شعبهم الأعزل دون رحمة أو هوادة وجدت استحسانًا وتأييدًا كبيرًا من كل هذه الطوائف الباطنية المنحرفة، وما يقومون به اليوم في سوريا هو ديدنهم على مدار التاريخ، وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية الذي عرفهم عن قرب ووقف على كفرهم وضلالهم يذكر ذلك عنهم فيقول: «هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر

إن الأعمال التي تجري في سوريا اليوم من هؤلاء النصيريين ضد شعبهم الأعزل دون رحمة أو هوادة وجدت استحساناً وتأييداً من كل الطوائف الباطنية المنحرفة وما يقومون به اليوم في سوريا هو ديدنهم على مدار التاريخ



من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من ضرر الكفار المحاربين، مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله، ولا برسوله، ولا بكتابه، ولا بأمر ولا نهي، ولا ثواب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد صلى الله عليه وسلم، ولا بملة من الملل السالفة، بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها، يدّعون أنها علم الباطن». [مجموع فتاوى ابن تيمية ج٣٥/١٤٩].

وبعد هذا العرض الموجز اليسير عن هذه الطائفة وبعض أفعالها أوجه نداءً إلى كل مسلم صادق بالوقوف مع إخوانه في سوريا بقدر ما يستطيع وأقله الدعاء لهم والحزن على ما أصابهم، وعلى حكام المسلمين ضرورة بذل مزيد من الجهد والتصدي للحكم الجائر الظالم في سوريا، ونحن نعلم ونوقن أن غيرنا لن يدافع عنا، أو يسعى لحل أزماتنا، فلنستعن بالله تعالى، ولنأخذ بالأسباب المتاحة لنصرة إخواننا، وهذا حق على كل مسلم.

فإن القلب ليحزن وإن العين لتدمع على ما يحدث لإخواننا في بلاد الشام، من قمع ووحشية، تضيف إلى معاناة الشعب السوري في المجالين الاقتصادي والاجتماعي ما يفيض به الكيل، فإن الملايين من أبناء الشعب السوري يعيشون تحت خط الفقر. والبطالة اكتسحت البلاد وخاصة بين الشباب. والركود الاقتصادي أثقل كاهل الناس وخاصة الفقراء وذوي الدخل المحدود وحتى متوسطي الدخل وهم قلة في سورية، وانتشر الفساد لدرجة تفوق الوصف.

وإن المطلع على المقاطع المسربة من قطعان الأمن والشبيحة في سوريا يجد أن الأمن السوري والشبيحة قد أوغلوا في دماء السوريين أيما إيغال، لا فرق بين رجل وامرأة وطفل ، سفح دماءهم على مرأى من العالم ومسمع، بل لا يزال يدك المنازل بالمدافع على رؤوس من فيها، ويقتل الرجال صبرًا، ويعذب المسلمين في معتقلاته بأبشع أنواع التعذيب وأقذره، ويحتجز النساء، وينتهك الأعراض، ويسلط شبيحته ورجال أمنه ليعيثوا في الأرض فسادًا، وكل ذلك من أجل البقاء في سدة الحكم، وشعبه قد لفظه، معتمدًا على بطانة سيئة يشرعون له سفك الدماء وقتل الأبرياء.

إن الشعب السوري المسلم الأبي قد رفض القهر والذل والحرمان والعبودية، وتعب من ويلات الغربة والبعد عن الوطن، وشق عليه ما يرى من الصد عن دين الله وتهجير العلماء على مدى أربعة عقود؛ والمتابع لهذه الأزمة يرى مدى حقد النظام على هؤلاء الرجال -من أئمة وخطباء- صدعوا بكلمة الحق فكانت سببًا في اعتقالهم وتعذيبهم بشتى صنوف العذاب التي لا تخطر على قلب بشر ثم قتلهم شر قتلة، خلا بعض الكبار الذين يحسب لهم النظام ألف حساب.

ولقد بلغ من عتو هذا النظام الإجرامي أنه قام بقصف المساجد والمآذن حقدًا على دين الله وكرهًا له، وهي نهايته بإذن الله، فقد قال أعزّ من قال: « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾» [البقرة:١١٤].

فاللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، وانصر عبادك الموحدين، واجعل اللهم هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين. أسأل الله تعالى أن يسلم بلاد المسلمين، وأن يقطع دابر المجرمين، والحمد لله رب العالمين.

نوجه النداء لكل المسلمين في العالم بالوقوف الي جانب إخوانهم في سوريا بقدر ما يستطيعون ، وأقله الدعاء لهم والحزن على ما أصابهم ، وعلى حكام المسلمين بذل مزيد من الجهد ، والتصدي للحكم الجائر الظالم في سوريا، ونحن نعلم أن غيرنا لن يدافع عنا !!



كلمة التحرير

الصبر على مصائب الدهر

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

الحمد لله حمد الذاكرين الأخيار، وصلاة وسلامًا على نبيه المختار، وبعدُ:

اللهم إنا نشكو إليك ضعف قوة المسلمين، وقلّة حيلة المستضعفين، وهوانهم على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربنا، إلى من تكل إخواننا، إلى بعيد يتجهمهم، أمْ إلى عدوٍّ ملكته أمرهم، اللهم لا نصير لهم إلا أنت، اللهم ضعُف الناصرُ إلا بك، وانقطعتْ حبال الرجاء إلّا حبل الرجاء فيك، اللهم لا تخذلنا في دعائنا، فانت الرب الكريم، ونحن العُصاة العبيد، اللهم أرنا في النصيريين الباطنيين آية، وأنزل بهم بأسك، اللهم احْصُدْ شوكتهم، ونكسْ رايتهم، واعِدْهُمْ إلى الذل والهوان كما كانوا، اللهم اشفي صدور المؤمنين منهم، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام.

فالأمة تبتلى من كل جانب، فإخوةٌ لنا في الدم والعقيدة في سوريا يتعرضون لمذبحة تلو المذبحة، وأبشع ألوان العذاب يلاقيه أهل السُنّة في بلاد الشام، في إبادة بشرية ممن فقدوا ضمائرهم، يسوقون شبابهم إلى معتقلات التعذيب والإبادة، وتُغتصبُ نساؤهم، وتستعمل ضدهم كل آلات الحرب والإبادة، وعالم الخزي والعار ممن يتشدقون بالحرية يقف متآمرًا ومتفرجًا!! فاتحًا فاهُ الكريهة ضد كل إبادة لمسلم على يد أعداء أهل السُنّة من الباطنيين، وحليفتهم الصهيونية التي تقتل شعب غزة الفلسطيني، بعد أن قطعت عنه كل وسائل الحياة، وسط مخططات مفضوحة لتقسيم مصر، تبدأ من جنوب السودان، ومؤازرة صينية روسية للمتأسّد على شعبه، وتدنيس للمصحف في أفغانستان من قبل الأمريكان، ومجازر للمسلمين في قندهار من الجنود الأمريكان، وفيدرالية برقة ومخطط تقسيم ليبيا.. وإعلام أحمق ينفذ سياسة أعداء الأمة بتشويه جمعيات الدعوة إلى التوحيد، للتغطية على مخططاتهم المشبوهة، وشغل الرأي العام عما يدور في مصر من فتنٍ ومؤامرات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الصبر في المحن.. ودوام الحال من المحال!!

يتقلب الإنسان في هذه الدنيا بين منح ومحَنٍ، وأفراح وأتراح، وآمال وآلام، ودوام الحال من المحال!! هكذا هي الدنيا وهذه أحوالها، وليس للمؤمن الصادق فيها إلا الصبر، فذلكم دواء أدوائها، قال الحسن البصري رحمه الله: «جربنا وجرب المجربون، فلم نر شيئًا أنفع من الصبر، به تداوى الأمور، وهو لا يُداوى بغيره». وما أعطى عطاء خيرًا وأوسع من الصبر، وكان أمر المؤمن من بين الناس أمرًا عجيبًا، لأنه إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، كما صحّ ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد أمرنا الله تعالى بالصبر، وجعله من أسباب العون والمعية الإلهية، فقال سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣)» [البقرة: ١٥٣]. ثم أخبر عز وجل مؤكدًا أن الحياة محل الابتلاء بالخوف والجوع ونقص الأرزاق والأموال والأنفس

والثمرات، وأطلق البشرى للصابرين، وأخبر عن حالهم عند المصائب، وأثبت جزاؤهم، فقال: « وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) » [البقرة: ١٥٥- ١٥٧].

فالصبر سبب بقاء العزيمة، ودوام البذل والعمل، وما فات لأحد كمال إلا لضعف في قدرته على الصبر والاحتمال، وبمفاتيح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور، وأفضل العُدة الصبر على الشدة، وليتذكر كل منا حُسْنَ الجزاء ليخف حمل البلاء، فإن الأجر على قدر المشقة، والنعيم لا يُدرك بالنعيم، والراحة لا تنال إلا على جسور التعب، وما أقدم أحد على تحمل مشقة عاجلة إلا لثمرة مؤجلة، والصبر على مرارة العاجل يُفْضِي إلى حلاوة الآجل، وإن عظم الجزاء مع عظم البلاء!!

حقد النصيريين على أهل السنة المبتلين!!

والأمة تُبتلى من كل جانب، وأياد أعداء الأمة تزرع الفتن والقتل والدمار والتنكيل في كل بُقعة من بقاع الدنيا، تخطط وتتآمر، تكذب وتنافق، وتجد أياد من بني جلدتنا تتآزر معها وتتعاون، مستخدمة كل أدوات الشر والضغينة، وها هم أهل السنَّة في سوريا يتعرضون منذ عشرات السنين للقتل والذبح والتنكيل على أيدي النصيريين في الشام، وعلى مدار السنين التي خلت، لم يكن الباطنيون عامة، والنصيريون خاصة أهل نصح أو مودة للمسلمين، بل كانوا يحتمون بالتقية، إن عجزوا، ويطعنون في الظهر إن قدروا، توالت على أمة الإسلام دُول شتى وكان النصيرية فيها أقلية شاذة في عقيدتها وسلوكها، وكان المسلمون يستطيعون إبادتهم عن آخرهم، ولكنهم تركوهم وما يدينون، وعاملوهم بظاهر حالهم، فما جنوا من إحسانهم إليهم بتركهم وحمايتهم إلا الحقد والضغينة، والغدر والخيانة، والتاريخ مليءٌ بما لا يتوقعه العقلاء، ولا يتخيله الأعداء، ورُبَّما كان ما طُويَ ولم يدوَّن أكثر مما دُوِّن!!

وإسرائيل ومعها أمريكا والغرب حريصون على النظام في سوريا للمتاسد على شعبه، فهو يوفر الأمن للكيان الصهيوني، من خلال استقرار وأمان يوفره الأسد الصغير، امتدادًا للأسد الكبير الذي رحل وترك الجولان والجبهة السورية في أيدي الصهاينة. فحسبنا الله ونعم الوكيل!!

الأمة تبتلى من كل جانب، فإخوة لنا في الدم والعقيدة في سوريا يتعرضون لمذبحة تلو المذبحة، وأبشع ألوان العذاب يلاقيه أهل السنة في بلاد الشام في إبادة بشرية وخنوع من العالم الدولي المتآمر!!

تقسيم مصر يبدأ من جنوب السودان

ومع اشتداد البلاء، في ظل تآمر أعداء الأمة، واليقين أن النصر يأتي عند شدة انتفاش البغي والظلم، وتسرب اليأس إلى قلوب الرسل فضلاً عن المؤمنين، قال الله تعالى: « أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ » [البقرة: ٢١٤].

وحينما شاع الحديث عن تقسيم السودان مع بداية الحرب الأهلية هناك عام ١٩٨٢م، كان حديثا غريبًا غير مُتصور وغير منطقي، إلا أنه كان جادًا لدى أمريكا والغرب في خدمتهم للكيان الصهيوني، وقد تحقق ذلك بعد ربع قرن من الزمان، وأزهقت خلاله أرواح تربو على المليون نسمة، وتوقفت معها كل أوجه التنمية والبناء، في دولة كان من الممكن أن تكون سلة غذاء لقارة بأكملها!!

وحينما بدأ الحديث قبل ٢٠ عامًا عن تقسيم مصر إلى ٤ دويلات، قيل: إنه حديث فقط لا يثير الاهتمام، إلا أن الفوضى الخلاقة التي تحدثت عنها كونداليزارايس، وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة، واعتبار مصر الكعكة الكبرى - حسب تعبير جورج بوش الابن -، بعد أن كان العراق هدفًا تكتيكيًا، جعل ذلك الحديث أمرًا ليس مستحيلاً، بل يمكن تحقيقه بأقل التكاليف، وللأسف بأيد مَن هم من أبناء جلدتنا!!

مخطط يستهدف الجيش المصري

ونحن أمام مخطط يستهدف قواتنا المسلحة، ومحاولات خبيثة يُشارك فيها من فقدوا ضمائرهم، وضاعت وطنيتهم، فراحوا يضربون في جسد قواتنا المسلحة، درع الوطن، بل والأمة، بعد أن فككوا الجيوش العربية والإسلامية، وحيدوها، بل أنهكوها وحولوا مهمتها إلى قتل شعوبها، ولكن بإذن الله سيحفظ الله مصر وجيشها من كيد الكائدين، ومن تآمر المتآمرين.

ومع النظر إلى مخطط تقسيم مصر والترويج لخريطة مصر التي وضعوها، والمستقطع منها الجزء الجنوبي الشرقي المتاخم للحدود مع السودان في تحدٍّ سافر لسيادة الدولة المصرية على أرضها.

وعلى طريقة الفتنة التي يَلْعَنُ الله من يوقظها، أعلن منزوع الجنسية المسيحي «موريس صادق» قبل أيام عن قيام الدولة القبطية، ثم عاود ظهوره بالإعلام وأعلن كذبًا

قبول جنوب السودان افتتاح أول سفارة للدولة القبطية في أفريقيا، زاعمًا أنه قد حَصَل رسميًا على موافقة جوبا، مضيفًا أنه يسعى مع أقرانه لافتتاح مكاتب أخرى لدولته الشيطانية في القدس وجوهانسبرج وبون وسيدني وواشنطون وباريس ومونتريال ولندن، وغيرها!!

ومخططات التقسيم ليست غريبة على المنطقة التي بدأت بزرع الكيان «الجنوبي» بالسودان، ليكون بوابة لاختراق جنوب مصر؛ خدمة وتنفيذًا لمخططات الكيان الصهيوني، ولكن الله حافظًا مصر وشعبها وجيشها العظيم، « وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ » [الأنفال: ٣٠].

فيدرالية «برقة»... ومخطط التقسيم لليبيا

ومع اشتداد المحن التي تضرب في جسد الأمة، تنفيذًا لمخططات أعدائها من الداخل والخارج، والتطور المذهل للأحداث بسرعة تذهل العقول الراسخة، والأفئدة المتيقظة، ننظر من حولنا على حدود مصر من جانب آخر، فلم تهنأ ليبيا وشعبها بزوال نظام كان كالكابوس المفزع طيلة مدة حكمه، حتى بدأت بوادر التقسيم المخطط لها سلفًا كما أشرنا تلوح في الأفق، بعد أن نظم ليبيون مؤتمرًا أعلنوا خلاله بطريقة فرض الأمر الواقع أن برقة أصبحت إقليمًا فيدراليًا يتمتع بالحكم الذاتي في كل شيء عدا شئون الدفاع والأمن القومي التي تركوها لطرابلس، الأمر الذي دعا مصطفى عبد الجليل، رئيس المجلس الانتقالي الليبي اتهامهم بالسعي لتقسيم ليبيا، مشيرًا إلى أن أطرافًا غريبة وغربية تقف وراء ما وصفه بـ «تقسيم ليبيا».

والبداية جاءت طبيعية تمشيًا وتنفيذًا لمخططات التفتيت والتقسيم لأقطار الأمة الإسلامية، وخاصة ضرب الأمن القومي المصري من خلال تفتيت السودان، ثم ليبيا، وليت الغافلون من عملاء الغرب والصهاينة يفيقون قبل فوات الأوان، ويغسلوا أيديهم التي تلطخت بالعمالة لأمريكا؛ ممَّن نصبوا من أنفسهم قادة للحرية المزعومة الكاذبة التي أداتها التخريب والفوضى والاقتتال والإضرابات وإسقاط هيبة الدولة حتى تنتشر الفوضى، ويعم الدمار في مصر ودول الجوار من حولها!!

والذي تزعم الدعوة لتنظيم مؤتمر «فيدرالية برقة» في ليبيا هو الليبي الأمريكي محمد بويصير، وإذا عُرف السبب بطل العَجَبْ، وهو الذي قال: «إن الناس في برقة قد عانوا من الإهمال طوال ٤٠ عامًا»، ثم أضاف مهددًا أنه إذا استمر هذا الإهمال للشرق فلا أضمن أن تظل ليبيا موحدة بعد ٢٥ عامًا!!

وردد نفس الكلمات أحمد السنوسي رئيس ما يسمى بـ «المجلس الفيدرالي لبرقة»، حيث قال: إن سبب الإعلان عن الإقليم هو ضعف أداء المجلس الانتقالي، وكان أخطر ما صرح به السنوسي وهو قريب للملك السابق هو قوله: «إن المواطن يحتاج للأمن والأمان، ولا يحتاج لملكة وملكيّة، بل لا يحتاج الجمهورية»!!

جدير بالذكر أن السنوسي هو ابن عم الملك الراحل إدريس السنوسي، وقد سجنه القذافي قرابة ٣١ عامًا، وهو عضو في المجلس الوطني الانتقالي، كما منحه البرلمان الأوروبي جائزة سخاروف «لحرية الفكر» في ديسمبر الماضي، مع المصرية المثيرة للجدل أسماء محفوظ!!

> **إن مخططات التفتيت والتقسيم، وإشاعة الفوضى الخلاقة لأقطار الأمة الإسلامية، وضرب الأمن القومي المصري في مقتل من خلال تفتيت السودان ثم ليبيا، ماضية في طريقها، وليت الغافلون من عملاء الغرب والصهاينة يفيقون قبل فوات الأوان!!**

وتسعى دولًا غربية لإقامة قواعد لها في ليبيا، الأمر الذي يؤدي لحصار مصر من الغرب، إضافة إلى حصارها شرقًا من إسرائيل، وجنوبًا من بعد تقسيم السودان، مما يشكل خطورة على أمنها القومي، بسبب الامتدادات القبلية على الحدود الغربية لمصر والشرقية لليبيا.

ويتمتع إقليم برقة بأهمية حيوية للبلاد، حيث يحتوي على حوالي ٨٠٪ من احتياطات النفط والغاز في ليبيا، ويتمتع بموقع استراتيجي لامتداده على نحو ٦٠٪ من الساحل الليبي، كما يضم خمسة موانئ لتصدير النفط، وثلاثًا من مصافي النفط الخمس في كل ليبيا!! والنفط الليبي من النوع الخفيف المطلوب أوروبيًا، وأمريكيًا، ولا يفصله عن أسواقها أي مضايق أو قنوات كحال النفط الخليجي الذي لا بد من مروره على مضيق هرمز في الخليج العربي، وباب المندب عند مدخل البحر الأحمر، وقناة السويس عند نهايته!!

جرائم الأمريكان في أفغانستان!!

ومع اشتداد المحن على أيدي أعداء الأمة جريمة أخرى من جرائم الأمريكان تضاف إلى سجلها الملطخ بالوَحْل والمؤامرات، وفي أفغانستان يُشمر جنديُ من خنازير الكابوي، ممن تجردوا من كل صفات النخوة والشهامة والرجولة، وهم منها براء، وحمل رشاشا

وأطلق النار على مجموعة من المدنيين العزّل، فقتل ستة عشر مواطنًا أفغانيًا في قندهار، ويقف العالم كله موقف المتفرج، وليس ببعيد عن الأذهان ما قام به هؤلاء الخنازير من حرق للمصحف الشريف في أفغانستان!!

إنها المحن والابتلاءات، وحالة الصمت ما زالت تسطير على الأمة في ربوعها، أمة القرآن والفرقان، فهذا هو القرآن الكريم عظمة وجمالاً، ومكانة وجلالاً، ومنزلة وكمالاً، ومع ذلك كله، ومع ما هو متقرر عند أهل الملة المحمدية، والشرائع السماوية، من وجوب تعظيم القرآن الكريم وتبجيله، وتقديسه وتكريمه، فإن مما نكأ الجراح، وأقض السهاد والمراح، وأثار صيحة ملتاع، وصرخة عفيف مرتاع، تشق أجواز الفضاء، وتربدّ لها سائر الأجواء، مرددة مستنكرة، ذلك الفعل الأثيم الباغي الذي امتد إلى تدنيس أقدس مقدساتنا، قرآننا ومناط عزنا وفخرنا، واستطال على القرآن الكريم كتاب ربنا، ودستور حياتنا في عنجهية وصلف، بلغا مداهما، مما أجج مشاعر المسلمين، وأثار كوامنهم، وألهب حفيظتهم في كل أرجاء المعمورة، حُرْقة وأسى على أقدس مقدساتهم، ونبراس حياتهم، وسر وجودهم، وقد برئ وأعذر من أبان وحذر «وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ» [الحج: ٤١].

فأكبادنا قد حُرقت بأنات الجوى، فعياذًا بالله عياذًا، ولياذًا به لياذًا، فاللهم إنا نعتذر إليك، ونبرأ إليك مما صنع هؤلاء الخنازير بكتابك، ونسألك بهذا البيان براءة الذمة، وتحقيق النصح للأمة، وأنت حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اتقوا الله في أنصار السنة

إن حُسْن ظن العبد بربه يجب ألا يكون مقصورًا على حالة مخصوصة، أو حادثة بعينها، أو زمن دون زمن آخر، فكما يجب أن يُحسن المرءُ ظنهُ بالله وهو مقبل عليه، يرجو عفوه ومغفرته، فكذلك يجب أن يكون حُسن ظنه بالله مصاحبًا له في كل ما يعرض له في هذه الحياة الدنيا من شدائد، وما ينزل به من نوازل، وما يغشاه من كروب.

ومنذ شهور طويلة مضت يُدندن أصحاب القلوب البغيضة بتلكم القصة الواهية - كتلك القصص الواهية التي يتناولها الشيخ علي حشيش بالنقد على صفحات مجلة التوحيد- وطوال شهور مضت راحت الكثير من أجهزة الإعلام التي أَحَسَّتْ بالإفلاس تنقب وتبحث عن قصة واهية تتناولها، وكانت قصة التمويل الأجنبي لجماعة أنصار السنة المحمدية!!

ونقول بإيجاز شديد لهؤلاء: إن جماعة أنصار السنة المحمدية جماعة دعوية، صاحبة منهج لَمْ ولَنْ تحيد عنه أبدًا، بإذن الله تعالى، فنحن لسنا أصحاب تمويل ولا تدليس، فها هي وزيرة التأمينات والشئون الاجتماعية، وهي الوزارة المنوطة بأمر الجمعيات تقول في جلسة لمجلس الشعب يوم الأحد الموافق ٢٠١٢/٣/٦م ردًا على سؤال للنائب مصطفى بكري: ملف أنصار السنة ملف ناصع البياض، ولا تشوبه أي شائبة، ولم ترتكب أنصار السنة المحمدية أي مخالفة مالية، وما نُسب إليها وشنعت به بعض وسائل الإعلام ودندن به بعض المسئولين ممن لا نعرف سببًا لتصريحاتهم المجافية للحقيقة؛ غير صحيح، وأن كل حساباتها ومعاملاتها موافقة للقوانين واللوائح، ومن قبلها بأيام في اللجنة الدينية بمجلس الشعب المستشار محمد الدمرداش، رئيس الشئون القانونية بوزارة التأمينات والشئون الاجتماعية، يبرئ جماعة أنصار السنة المحمدية من تلك الفرية.

> **جماعة أنصار السنة المحمدية جماعة دعوية، صاحبة منهج لَمْ ولن تحيد عنه بفضل الله تعالى، ونحن لسنا أصحاب تمويل ولا تدليس، وقد شهدت بذلك وزيرة التأمينات في مجلس الشعب**

وبعد ذلك بأيام نجد بعض الأبواق تنشر خبرًا كاذبًا مفاده: تحويل خمسة من أنصار السنة للجنايات، ثم تكذيبًا للخبر على صفحات أخرى!!

فاتقوا الله في أنصار السنة، لقد أسأتم بما فيه الكفاية لجماعة قامت على نشر العقيدة الصحيحة، ونشر دعوة التوحيد الخالص، ونحن لسنا أصحاب توجهات حزبية، أو سياسية، ولا نبغي السلطة، ولا نتطلع إليها.

وإننا من خلال هذه الكلمات نناشد القائمين على العدالة ممن لا نشك لحظة في عدالتهم أن يعلنوها صريحة بعد أن أجروا التحقيقات، وبما لديهم من مستندات حقيقة موقف الجماعة، حتى تخرص الألسنة، ورفقًا بجماعة أنصار السنة.

جعلنا الله جميعًا من الصابرين الشاكرين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

تفسير سورة «ص»

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

« وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (٤٤) وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ (٤٥) إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ (٤٧) وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ (٤٨) هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ (٤٩) جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ (٥٠) مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ (٥٤) هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (٥٦) هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ (٥٨) هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ (٥٩) قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ (٦١) » [ص: ٤١- ٦١].

قصة أيوب عليه السلام:

« وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ » واذكر يا نبينا في الكتاب الذي أنزلناه عليك « عَبْدَنَآ أَيُّوبَ » عليه السلام، «إذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ»، ابتُلي أيوب عليه السلام بالبلاء الشديد، ومكث فيه ثماني عشرة سنة وشهرًا، ابتلي في نفسه، ابتلي في ماله، ابتلي في أهله، ابتلي في ولده بأنواع البلاء، وصبر عليه السلام، فلما أراد الله أن يشفيه ألهمه الدعاء؛ لأن الدعاء مقرون بالإجابة: « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ » [البقرة: ١٨٦].

وفي سورة الأنبياء قال تعالى: «وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (٨٣)» [الأنبياء: ٨٣]، وهنا قال: «أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ»، وللمفسرين في هذا اللفظ كلام كثير جداً، ولماذا نسب أيوب ما أصابه إلى الشيطان، قال

بعض العلماء- ولعل هذا أرجح الأقوال- أن هذا من باب الأدب، أن لا ينسب الشر إلى الله، كما فعل الخليل إبراهيم عليه السلام قال: «ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ (٨٠)» [الشعراء: ٧٨ - ٨٠]، فنسب المرض إلى نفسه، ونسب الشفاء إلى ربه «فَهُوَ يَشۡفِينِ».

فأيوب عليه السلام نسب الشر إلى الشيطان؛ لأن الشيطان أساس كل شر، تأدباً مع الله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: والشر ليس إليك.

فلما دعا ربه، قال له ربه: «ارْكُضْ بِرِجْلِكَ» اضرب الأرض برجلك، فتفجرت العيون من تحت رجله، كما تفجرت من تحت رجل إسماعيل عليه السلام، فرأى الماء يخرج من تحت رجله، فقيل له: «هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ» اغتسل واشرب، اغتسل فبرأ من الأمراض الظاهرة والعلل الظاهرة في بدنه، وشرب فبرأ من الأمراض الباطنة.

«وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ» الذين فقدهم «وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ» زيادة عليهم «رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ» أنهم إذا ابتلوا عليهم أن لا يجزعوا، وأن لا يفزعوا، وأن لا يتسخطوا، وأن يصبروا لقضاء الله، وأن يرضوا بحكم الله، وأن يعلموا أن بعد العسر يسرًا، وأن بعد الكرب فرجًا.

«وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ ٣»: وكان عليه السلام حلف أن يضرب امرأته مائة سوط، فأمره الله أن يأخذ ضغثًا (وهو ملء الكف من الحشيش) يشتمل على مائة عود صغار، ويضربها ضربة واحدة.

ثم يثني الله تعالى على أيوب عليه السلام فيقول: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ».

فالصبر الصبر معشر المبتلين، فما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر، يقول تعالى: «إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ» [الزمر: ١٠]، يقول بعض السلف: ما من عمل صالح إلا وأجره معلوم، الحسنة بعشر أمثالها، إلا الصبر، فإن الله تعالى قال: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» قال: كالماء المنهمر لا تحصى قطراته.

خصائص الأنبياء عليهم السلام:

«وَاذْكُرْ» يا نبينا «عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ» وإسحاق هو ابن إبراهيم، ويعقوب هو ابن إسحاق بن إبراهيم، فذكر الوالد والولد والحفيد.

«أُولِي الْأَيْدِي» يعني ذوي القوة في الطاعة والعبادة، «وَالْأَبْصَارِ» يعني الفقه في الدين، فمدحهم الله تعالى على ما كانوا عليه من العلم والعمل ثم قال: «إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ»، بالتنوين، ما هي؟ هي «ذِكْرَى الدَّارِ» الآخرة. أكرم ربنا سبحانه إبراهيم وإسحاق ويعقوب بذكر الآخرة، فكانت دائما على بالهم، ليس لهم همٌّ في الدنيا، كل همِّهم الآخرة.

«وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٧) وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ» إسماعيل بن إبراهيم، أفرد بالذكر للتكريم والتشريف.

«وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ»: أي واذكر هؤلاء الأنبياء بأحسن الذكر، وأثن عليهم أحسن الثناء، فإن كلا منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق، واختار لهم أكمل الأحوال من الأعمال، والأخلاق والصفات الحميدة، والخصال السديدة.

نعيم أهل الجنة:

«هَذَا» الذي ذكرناه لك «ذِكْرٌ»، وهنا وقف تام، ويستانف كلامًا جديدًا: «وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ» وهم أصحاب العقيدة الصالحة والعمل الصالح، كما قال تعالى: «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ» وهذه هي العقيدة «وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ» هذه هي الأعمال الصالحة، ثم قال: «أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ (١٧٧)» [البقرة: ١٧٧].



«إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ» مرجعًا حسنًا جميلاً، وهو «جَنَّاتِ عَدْنٍ» جنات إقامة، جنات خلود، لا يبغون عنها حولاً، وما هم منها بمخرجين، «جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ»، وفتح الأبواب عنوان الأمان التام، بخلاف الدنيا، فلا بد من غلق الأبواب قبل النوم، «مُتَّكِئِينَ فِيهَا» والاتكاء دائماً قعدة المزاج وخلو البال.

«يَدْعُونَ فِيهَا» يطلبون وينادون على الخدم، «بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ».

«وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ» التي قصرت عينها على زوجها، فلم تتطلع إلى غيره، لشدة جماله الذي ملك قلبها، فزوجها عندها سيد البشر، ليس أحد مثله أبداً، وهي من شدة جمالها قصرت عين زوجها عليها، فلا يفكر في غيرها، ولا يتطلع إلى غيرها؛ لأنه لا يظن أن هناك من هو أجمل منها.

«قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ» قصرت طرفها على زوجها، وقصرت عين زوجها عليها، وهُنَّ «أَتْرَابٌ» بنات سن واحدة،كما قال تعالى: «إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧)» [الواقعة: ٣٥- ٣٧]، أترابا يعني بنات سن واحدة، وهي ٣٣ سنة، وهي سن الفتوة والشباب، والنضرة والحسن والبهاء.

«هَذَا» النعيم الذي ذكرناه «مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ».

فيا خاطب الحسناء إن كنت راغباً
فهذا أوان المهر فهو المعجل

هذا ما وعدكم به ربكم، فالذي يريد أن يشتري يدفع، لأن الدفع مقدم، والسلعة هي المؤجلة.

«إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)» [التوبة: ١١١].

«إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ» بخلاف رزق الدنيا، «وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» [البقرة: ٢٥]، نسأل الله تعالى من فضله.

ألوان عذاب أهل النار:

«هَذَا» اسم إشارة يؤتى به للانتقال من شيء إلى آخر، وللدلالة على انتهاء السابق وابتداء اللاحق، «هَذَا» وهنا وقف تام، ويستأنف القارئ «وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ».

«هَذَا» اسم إشارة، قد يكون مبتدأ لخبر محذوف، أو يكون خبرا لمبتدأ محذوف - فإذا قلنا: «هَذَا» مبتدأ، كان أقرب تقدير للخبر المحذوف ما سبق في قوله تعالى: «هَذَا ذِكْرٌ».

ويمكن أن يكون الخبر: هذا باب في وصف جزاء المتقين، «إِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ».

ويمكن أن يكون هذا خبرًا، والمبتدأ محذوف، تقديره: الأمر هذا، وانتهى الكلام، وانتهى الموضوع الأول، ولما ذكرنا جزاء المتقين نذكر جزاء الظالمين، «وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ» والطاغين الظالمين «الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢)» [الفجر: ١١- ١٢] والمراد بهم صناديد قريش أبو جهل، والوليد بن عتبة، وعتبة بن ربيعة، وأمثالهم من عظماء قريش، «وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ» أي شر مرجع يرجعون إليه، وهو في مقابل «وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ».

«جَهَنَّمَ» بدل من «لَشَرَّ مَآبٍ»، «يَصْلَوْنَهَا» أي يدخلونها فتغمرهم من جميع الجهات، كما قال تعالى: «لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ» [الأعراف: ٤١]، «لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ» [الزمر: ١٦]، وقال تعالى: «لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٣٩)» [الأنبياء: ٣٩].

«فَبِئْسَ الْمِهَادُ»: المهاد والمهد هو الفراش الذي ينام عليه، والفراش الذي ينام عليه يُمَهَّدُ وَيُسَهَّلُ، حتى يستريح الإنسان عليه، فهذا هو مهادهم «فَبِئْسَ الْمِهَادُ».

«هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ» في الكلام تقديم وتأخير، هذا هو العذاب الذي أُعِدَّ لهم: «حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ»، «فَلْيَذُوقُوهُ»، والحميم الماء الحار المغلي الذي اشتدت درجة غليانه، والغساق فيه قولان: الأول: أنه ضد الحميم، فالحميم هو الماء المغلي، والغساق هو الزمهرير، الماء البارد جداً، أبرد من الثلج، فهم يعذبون بالشيء وضده، يحرقون بالنار الحامية، كما يحرقون بالزمهرير البارد، والبرد الشديد يحرق كما تحرق النار.

والثاني: الغساق هو ما يسيل من جراحاتهم من دم وقيح وصديد.

«وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ» يعني الشيء وضده، الحميم والغساق زوجان،



ولهم أشكال وألوان من أزواج العذاب.

تخاصم أهل النار:

«هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ»:هذا قول خزنة النار للسابقين الأولين مشيرين إلى المتأخرين من الأفواج، كلما ألقي فيها فوج قالت: «هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ» فرد السابقون قائلين «لاَ مَرْحَبًا بِهِمْ»: مرحبا تقال للإكرام، يأتي الضيف فتقول له: يا مرحباً يا مرحباً، أي: نزلت على الرحب والسعة، فالرحب هو السعة، فمرحبًا للإكرام، ولا مرحباً للإهانة، فلما قيل للمتبوعين من الأكابر وهم داخلون النار: «هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ»، رد الأكابر: «لاَ مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ»، فسمعهم الفوج اللاحق، فقالوا للأكابر: «قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا» أنتم السبب، مازلتم تغووننا وتزينون لنا الباطل والضلال حتى اتبعناكم على الكفر والشرك بالله.

«بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ»، وفي سورة الأعراف قال الله تعالى: «قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨)» [الأعراف: ٣٨] ضاعف لهم العذاب يا رب مرتين، «قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ» منكم ومنهم، «وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ».

«قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا» أي من كان سبباً في هذا العذاب الذي نحن فيه الآن، «فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ».

ولما دخل أمثال أبي جهل وأبي لهب وأمثالهم من صناديد قريش النار تفقدوا من معهم فقالوا: «مَا لَنَا لاَ نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ».

قال أبو جهل لعنه الله: أين عمار، وأين صهيب، وأين خباب؟ أين المستضعفون الفقراء المساكين من أهل الإيمان؟ «مَا لَنَا لاَ نَرَى رِجَالاً» في النار «كُنَّا» في الدنيا «نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ»، ونقسم بالله أنهم أصحاب النار.

«أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا» وقرئت «اتَّخَذْنَاهُمْ» بألف الوصل على سبيل الإخبار، أي أننا اتخذناهم في الدنيا سخرياً، وهذا هو الواقع الذي قال الله تبارك وتعالى لهم فيه: «قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ (١٠٩) فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (١١١)» [المؤمنون: ١٠٨- ١١١].

وأرجح الأقوال أن الهمزة همزة قطع على سبيل الاستفهام: «أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا» فأخطأنا لما ضحكنا منهم وسخرنا منهم، وهم كانوا أعلى من ذلك شأناً وأرفع قدراً، أم هم معنا في النار ونحن لا نراهم: «أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ»، يعني هم كانوا أخيارًا، ونحن كنا نعدهم أشرارًا فأخطأنا، أم هم معنا في النار في ناحية ثانية ونحن لا نراهم، «أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ» فكشف الله لهم الحقيقة، وأعلمهم أن الذين اتخذوهم سخريًا قد أدخلهم الله تعالى الجنة، فأذن الله تعالى لأهل الجنة في نداء أهل النار: «وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٤)» [الأعراف: ٤٤]، فحينئذ علموا أنهم في الجنة لا في النار.

يقول القرطبي - رحمه الله- في تفسيره: مسكين أبو جهل! أسلم ابنه عكرمة! وأسلمت ابنته جويرية! وأسلمت أمه! وأسلم أخوه! ولكن من يضلل الله فما له من هاد.

«إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ» هذا الذي سمعتموه من تخاصم أهل النار وتبادل السباب واللعان بينهم، «إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ» وهو «تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ» فيما بينهم وبين بعضهم البعض في جهنم.

وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم:

ثم أمر الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لقومه: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ» قل لهم يا نبينا: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ» أي مُخَوِّف، فالإنذار هو الإعلامَ المصحوب بالتخويف، والمنذر اسم فاعل من الإنذار، فالمنذر هو المخوف، «قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ» أرسلني الله تعالى إليكم لأنذركم عذاب الله الذي حق عليكم بسبب كفركم وشركم، فإن خفتم وأقلعتم عن الكفر وآمنتم نجوتم من العذاب، وإن أصررتم على الكفر لزمكم العذاب.



وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.

أحكام الصلاة شروط الصلاة

الأماكن التي نُهي عن الصلاة فيها

الحلقة الثانية

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، ثم أما بعد:

ما يزال الحديث متصلاً عن شرط طهارة المكان للصلاة، ونكمل ما كنا بدأناه، وقد تكلمنا في العدد السابق عن الأماكن المنهي عن الصلاة فيها، وبدأنا بالصلاة في أعطان الإبل، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الصلاة في الموضع المغصوب:

والمغصوب: كل ما أُخذ من مالكه قهرًا بغير حق، سواءٌ أُخذ بصورة عقد، أو بدون صورة عقد، فمثلاً: لو جاء إنسان لآخر وغصب منه أرضًا وصلى فيها، فتحرم صلاته فيها؛ لأنها مغصوبة، ولو جاء إنسانٌ إلى آخر وقال: بعْني أرضك، قال: بعْهَا وإلا قتلتك، فباعها إكراهًا، وصلى فيها المُكره فتحرم صلاته فيها؛ وإن كانت مأخوذة بصورة عقد. [الشرح الممتع لابن عثيمين ٢/ ١١٠].

والصلاة في الأرض المغصوبة حرام بالإجماع؛ لأن اللبث فيها يحرم في غير الصلاة، فلأن يحرم في الصلاة أولى، ولكن هل تصح الصلاة في المكان المغصوب؟

قال الجمهور غير الحنابلة: الصلاة صحيحة؛ لأن النهي لا يعود إلى الصلاة، فلم يمنع صحتها، ويسقط بها الفرض مع الإثم، ويحصل بها الثواب، فيكون مثابًا على فعله، عاصيًا بمقامه، وإثمه إذن للمكث في مكان مغصوب.

وقال الحنابلة في الأرجح عندهم: لا تصح الصلاة في الموضع المغصوب، لأنها عبادة أتى بها على الوجه المنهي عنه، فلم تصح، وعللوا ذلك بأن الإنسان منهيٌّ عن المقام في هذا المكان؛ لأنه ملك غيره، فإذا صلى فصلاته منهيٌّ عنها؛ لأن النهي يقتضي تحريم الفعل واجتنابه والتأثيم بفعله، فكيف يكون مطيعًا بما هو عاص به، ممتثلاً بما هو محرم عليه، متقربًا بما يبعد به؟! والصلاة المنهيُّ عنها لا تصحُّ؛ لقول النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَن عَملَ عَملاً ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ». رواه مسلم. [الفقه الإسلامي وأدلته ٢/ ١٥٩، والشرح الممتع لابن عثيمين ٢/ ١١٠].

والأرجح ما ذهب إليه الجمهور، قال الشيخ ابن عثيمين مؤيدًا قول الجمهور: ولا أعلم دليلاً أثريًا يدل على عدم صحة الصلاة في الأرض المغصوبة، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «مَن عَملَ عملاً ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ». فلا دليل فيه على عدم صحَّة الصلاة في المكان المغصوب إلا لو قال: لا تصلوا في الأرض المغصوبة، فلو قال ذلك لقلنا: إن صليت في مكان مغصوب، فصلاتك باطلة، لكنه

قال في النَّهي عن الغصب: «لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ» [النساء: ٢٩]. وهذا يدل على تحريم الغصب لا على بُطلان الصَّلاة في المغصوب. [الشرح الممتع على زاد المستقنع ١١٠/٢].

٢ - الصلاة في داخل الحمام:

الحمام [مكان المغتسل]، وكانوا يجعلون الحمَّامات مغتسلات للنَّاس؛ يأتي النَّاس إليها ويغتسلون، يختلط فيه الرِّجال والنساء، وتنكشف العورات، وليس المقصود به «المرحاض»، ولهذا نهى الشَّرع عن الصَّلاة فيه.

وكلُّ ما يُطلق عليه اسم الحمَّام يدخل في ذلك؛ والصلاة فيه مكروهة عند الحنفية والشافعية؛ لأنها مأوى الشياطين، ومظنة انكشاف العورات، ومصب الغسالات والنجاسات عادة.

وقال الحنابلة: ولا تصحّ الصَّلاة في الحمَام، داخله وخارجه وأتونه « موقد النَّار »، وكلّ ما يُغلق عليه الباب حتى المكان الذي ليس مبالاً فيه، فإنه لا تصحُّ فيه الصَّلاة؛ لشمول الاسم لذلك كله، لحديث أبي سعيد مرفوعاً: «الأرض كلّها مسجد إلاّ الحمَّام والمقبرة» [أبو داود ٤٩٢ وصححه الألباني] [انظر الفقه الإسلامي وأدلته ١٥٤/٢].

٣ - الحش:

المكان الذي يَتخلَّى فيه الإنسان من البول أو الغائط؛ وهو الكَنيف، [مكان قضاء الحاجة]. فلا تصحُّ الصلاة فيه؛ لأنه أولى من الحمام، ولأنه نجس خبيث ومأوى للشياطين. قال ابن قدامة: فأما الحشّ فإن الحكم يثبت فيه بالتنبيه؛ لأنه إذا مُنع من الصلاة في الحمام؛ لكونه من مظان النجاسة، فالحش معد النجاسة ومقصود لها، فهو أولى بالمنع فيه. [المغني ٧٥٣/١].

واعلم أن أحب الأماكن إلى الشياطين أنجس الأماكن، فالمساجد بيوت الله ومأوى الملائكة، أما الحشوش فهي مأوى الشياطين، فلهذا يُشرع للإنسان عند دخول الخلاء أن يقول: «أعوذ بالله من الخُبث والخَبائث»، فلا ينبغي أن يكون هذا المكان الخبيث الذي هو مأوى الخبائث مكاناً لعبادة الله عزَّ وجل. وكيف يستقيم هذا وأنت تقول في الصَّلاة: أعوذ بالله من الشيطان الرَّجيم، وأنت في مكان الشياطين؟! [الشرح الممتع، محمد بن صالح العثيمين ٢ /١٠٩].

٤ - الصلاة في المزبلة والمجزرة:

أما المزبلة فقال الحنابلة: هو الموضع الذي تجمع فيه الزبالة، مثل المواضع التي في الطرقات ونحوها، ولا فرق بين أن يكون عليها نجاسة من الزبالة أو تكون طاهرة. أما المجزرة فقالوا: هي الموضع الذي يُذبح فيه الحيوان، وهو معروف بذلك للقصابين ونحوهم، ولا فرق بين أن يكون الموضع نظيفاً من الدماء والأرواث أو غير نظيف؛ لأن النهي تناول الموضع، والعلة كونه مظنة النجاسة ومحلاً للشياطين، ولذلك ذهب الحنابلة إلى عدم صحَة الصَّلاة في المزبلة والمجزرة ولو طاهرةً. [شرح العمدة في الفقه لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٧١/٢ بتصرف يسير].

واحتج الحنابلة بما روى ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام نهى أن يُصلّى في سبعة مواطن: في المزبلة، والمجزرة، والمقبرة، وقارعة الطريق، وفي الحمام، وفي معاطن الإبل، وفوق ظهر بيت الله. [الترمذي ٣٤٦ وضعفه الألباني]، وقد دافع ابن تيمية عن صحة هذا الحديث، فليراجع كلامه في شرح العمدة. وقد خالفه في ذلك أكثر المحدثين.

ويرى الحنفيّة والشّافعيّة كراهة الصلاة فيهما إذا لم تكن بهما نجاسة؛ لمجاورة النجاسة، أو مظنة وجودها، فالأولى موضع النجاسة، ومجمع الأوساخ والنفايات والذباب. والثانية: موضع ذبح الحيوان، وذلك إذا بسط على الموضع طاهراً وصلى عليه، وإلا لم تصح الصلاة؛ لأنه مصل على نجاسة، وتكره عند الشافعية على الحائل إذا كانت النجاسة محققة، فإن بسطه على ما غلبت فيه النجاسة، لم تكره. [الفقه الإسلامي وأدلته ١٥٤/٢، والموسوعة الفقهية الكويتية ٢٤٧/٢٤].

قلت: إن صح حديث ابن عمر كان ما ذهب إليه الحنابلة أقوى دليلاً، لكن الحديث لا يصح، وما ذهب إليه الحنفية والشافعية أرجح، والله أعلم.

٥- الصلاة في داخل الكعبة:

وقد اختلفوا في حكم الصلاة في داخل الكعبة، فمنهم من منعه على الإطلاق، ومنهم من أجازه على الإطلاق، ومنهم من فرّق بين النفل في ذلك والفرض. وسبب اختلافهم تعارض الآثار في ذلك، والاحتمال المتطرق لمن استقبل أحد حيطانها من داخل هل يسمى مستقبلاً للبيت كما يسمى من استقبله من خارج أم لا؟

أما الأثر فإنه ورد في ذلك حديثان متعارضان في الظاهر كلاهما ثابت: أحدهما حديث ابن عباس قال: لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه كلها، ولم يصل حتى خرج، فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة، وقال: «هذه القبلة» [البخاري ٣٩٨]، والثاني حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة هو وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال بن رباح فأغلقها عليه، ومكث فيها، فسألت بلالاً حين خرج: ماذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: جعل عمودًا عن يساره وعمودًا عن يمينه، وثلاثة أعمدة وراءه ثم صلى. [البخاري ٥٠٥].

فمن ذهب مذهب الترجيح أو النسخ قال إما بمنع الصلاة مطلقًا إن رجح حديث ابن عباس، وإما بإجازتها مطلقًا إن رجح حديث ابن عمر، ومن ذهب مذهب الجمع بينهما حمل حديث ابن عباس على الفرض، وحديث ابن عمر على النفل، والجمع بينهما فيه عسر، فإن الركعتين اللتين صلاهما عليه الصلاة والسلام خارج الكعبة، وقال: «هذه القبلة» هي نفل، ومن ذهب مذهب سقوط الأثر عند التعارض فإن كان ممن يقول باستصحاب حكم الإجماع والاتفاق لم يُجز الصلاة داخل البيت أصلا، وإن كان ممن لا يرى استصحاب حكم الإجماع عاد النظر في انطلاق اسم المستقبل للبيت على من صلى داخل الكعبة، فمن جوّزه أجاز الصلاة، ومن لم يجوزه لم يُجز الصلاة في البيت.. [بداية المجتهد لابن رشد ١/١١٣].

والأرجح والله أعلم جواز الصلاة في البيت الفرض والنفل، وبه قال أبو حنيفة والثوري وجمهور العلماء كما قال النووي في (المجموع) وقال الترمذي: (حديث بلال حديث حسن صحيح، والعمل عليه عند أكثر أهل العلم لا يرون بالصلاة في الكعبة بأسًا، وقال الشافعي: لا بأس أن تُصلى المكتوبة والتطوع في الكعبة؛ لأن حكم النافلة والمكتوبة في الطهارة والقبلة سواء)، وهذا الذي قاله الشافعي هو الحق إن شاء الله تعالى؛ لأن الحديث وإن كان قد ورد في النافلة، فالظاهر أن الفريضة مثلها في هذا الجواز؛ لاستواء أحكام النوافل مع أحكام الفرائض وجوبًا وتحريمًا وإباحة، إلا ما استثناه الشارع ولا استثناء هنا. [الثمر المستطاب - الألباني ١/٤٣٠].

وقال الشيخ ابن العثيمين مؤيدًا هذا الكلام: « الأصل تساوي الفرض والنَّفل في جميع الأحكام إلا بدليل، فكل ما ثبت في النَّفل ثبت في الفرض، وكل ما انتفى في النَّفْل انتفى في الفرض إلا بدليل، ويُستدل لهذا الأصل بأن الصَّحابة لما ذكروا أنَّ الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم كان يُصلِّي على راحلته حيثما توجَّهت به، قالوا: غير أنَّه لا يُصلِّي عليها المكتوبة. استثنوا: «غير أنَّه لا يُصلي عليها المكتوبة» [البخاري ١٠٩٨]، وهذا يَدل على أنَّهم لو لم يستثنوا لكانت المكتوبة كالنَّافلة تُصلَّى على الرَّاحلة. [الشرح الممتع لابن عثيمين ٢/١١٣].

٦- الصلاة في قارعة الطريق:

أي في أعلاه أو أوسطه، وهي مكروهة عند الحنفية والشافعية؛ لأن الطريق ممر الناس، فلا يؤمن من المرور، ولا من النجاسة، فينقطع الخشوع بممر الناس، فإن صلى فيه صحت الصلاة؛ لأن المنع لترك الخشوع، أو لمنع الناس من الطريق، وذلك لا يوجب بطلان الصلاة، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا» [متفق عليه].

وقال المالكية: تجوز الصلاة بلا كراهة في محجة الطريق أي وسطها إن أمنت النجاسة، فإن لم تؤمن بأن كانت محققة أو مظنونة فهي باطلة، لكن تظل الكراهة إن صلى بطريق مَن يمر بين يديه.

وقال الحنابلة: تحرم الصلاة ولا تصح في قارعة الطريق، ودليلهم العمل بنص رواية ابن عمر، وقد تبين ضعفه كما سبق. [الفقه الإسلامي وأدلته: ٢/١٥٣].

وعلة النهي عن الصلاة في قارعة الطريق ما يقع فيه عادة من مرور الناس، وكثرة اللغط الشاغل بالقلب، والمؤدي إلى ذهاب الخشوع. [فقه السنة: ١/٢٩٨].

وقيل: إن العلة في قارعة الطريق لما فيها من شغل الخاطر المؤدي إلى ذهاب الخشوع الذي هو سر الصلاة، وقيل: لأنها مظنة النجاسة، وقيل: لأن الصلاة فيها شغل لحقّ المار فالعلة الإضرار بالمار. [نيل الأوطار للشوكاني ٢/١٤٢].

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

منبر الحرمين

ما أكثر العبر وأقل المعتبرين!

إعداد / فضيلة الشيخ
محمد بن صالح المنجد



الحمد لله مصرف الأقدار لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، خضعت لهيبته الأكاسرة وكل شيء عنده بمقدار، يكور النهار على الليل ويكور الليل على النهار، قد أرانا ما فيه تذكرة وعبرة لأولى الأبصار، وخص بالفضل أصحاب النظر والعقول، وخاطبهم فقال: «فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ» [الحشر: ٢].

يا عباد الله: إن خير ما شُغلت به الأفكار والأعمار: التدبر والاعتبار، فهي الحياة مليئة بالعبر ومن جال بفكره عرف ربه فآمن به وزاد يقينه وعظم إيمانه، ولكن ما أكثر العبر وما أقل الاعتبار! ففي العالم حروب ومآسي وفيما حولك مصابون وحوادث، ولكن كم مرة نعتبر؟!

إذا تأملنا رأينا تقلب الدهر بأهله وفجائع الزمان، ولكن القلوب إذا قست لم تستقبل، فينبغي علينا أن نجلو صدأ القلوب بالاستغفار والعبادة للواحد القهار حتى نتمكن من الاعتبار، فالمؤمن مشغول بالعبر والتفكر، والمنافق مشغول بالحرص والأمل.

يا عباد الله: هذه المواعظ قد خلت من بين أيدينا ومن خلفنا من مسموع ومشهود،

وما نظرت إلى الأيام معتبرًا
إلا وأعطاك كنز العبرة النظر

فهذا التفكر وهذا التأمل وهذا الالتقاط للمشهد لحادث أو مريض أو مصيبة، أو نكبة تقع تجعل للمسلم إقبالا على الله، وأعظم ذلك التفكر والاعتبار بما في آيات الكتاب العزيز الذي أنزله الله تعالى في آياته الفكر والعبر، ومن تأمل حوله رأى فيه ما يطابق الواقع..

عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح.. وعجب لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك.. وعجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، وهذه الدار تحدثك عن أهلها كما تحدثك القبور عما في بطونها، وهذا كتاب الله يحدثك عن الآخرة وعن الجنة والنار ومن يسكنهما..

أيها المسلمون: حتى ننتفع لا بد أن نتدبر، وأن نفرغ القلب لذلك، حتى

ننتفع لا بد أن نشكر الله تعالى على نعمه، وحتى نعتبر لا بد أن نتعلم سنن الله تعالى حتى يتجدد الإيمان في قلوبنا وحتى نتواضع لربنا وحتى تكون لنا خشية، ويكون عندنا علم، العلم الشرعي بمعاني الكتاب والسنة يعيننا على ذلك.

أهل الاعتبار هم أهل الخشية لله والعلاقة بين الاعتبار والخشية واضحة كما في قوله تعالى «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ» [النازعات:٢٦] فالذي يعتبر هو الذي امتلأ قلبه من خشية ربه، وأيضًا لا يعتبر إلا أصحاب العقول «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ» [يوسف:١١١]، فهذا العقل لا بد من المحافظة عليه يا عباد الله حتى نستطيع الاعتبار «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾» [ق:٣٧].

ولابد لنا من بصر واع «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ» [آل عمران:١٣] فكم يعتبر البصير صاحب البصيرة والله عز وجل قد قص علينا في القرآن قصصاً كثيرة فيها عبر ما قصها علينا عبثا أو لمجرد التسلي والتفكر، وإنما لننظر فيها ونأخذ منها ما نستفيد منه في حياتنا.

قص علينا من قصص الأنبياء، وقص علينا من قصص المكذبين، وقص علينا من قصص الأمم والأفراد والطوائف، قص علينا قصة مريم ولقمان، وذي القرنين وقارون، وأصحاب الكهف وأصحاب الفيل، وأصحاب الجنة، وصاحب الجنتين، وأصحاب الأخدود..

وغير قصص الأنبياء الكثيرة جدًا في القرآن، كذلك حدثنا ربنا ما حصل بالغزوات من بدر وأحد وحنين وتبوك، وما حصل في الهجرة والإسراء وحادثة الإفك، ونحو ذلك... لماذا؟ حتى نتفكر فيها .

هذه القصص للأمم والأنبياء «فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» [الأعراف:١٧٦] فليس المقصود فقط من القرآن أن نحفظ وأن نجود وإنما أن نفكر وأن نعتبر وأن يكون لنا في التاريخ عبرة..

ألا ترون الأحداث تتشابه؟ ألا ترون أن هؤلاء القرامطة الذين جاءوا إلى موسم الحج في موسم في القرن الرابع الهجري، وأغاروا على مكة وقتلوا الحجاج حول الكعبة، ورقوا فوق الكعبة، وسال ميزاب الكعبة دمًا، وقتلوا الحجاج وهم يتعلقون بأستار الكعبة، وجعلوا الجثث في بئر زمزم، وهلك من الحجاج من هلك من العطش، وكان قائدهم أبو طاهر لعنه الله يقتل الناس بين يديه وهو يقول: «أنا بالله، وبالله أنا، يحيي الخلق وأفنيهم أنا» فجعل نفسه قسيمًا لله، يعني كأن الله يحيي وهذا هو الذي يميت..!!

فكيف يفعل الآن أحفاده في إبادة المسلمين؟ ماذا يفعلون الآن في محو الأحياء؟ ماذا يفعلون الآن في قتل الأجنة في بطون أمهاتها؟

فمن اعتبر من التاريخ وعرف ماذا فعل الأجداد لن يستغرب ماذا يفعل الأحفاد وهي ذرية بعضها من بعض.

عباد الله: أين التفكر؟ أين الاعتبار؟ أين السير في الأرض كما أمرنا الله؟ وأين النظر في السماء؟ وأين التأمل في النعم؟ وأين.. وأين التفكر في مصائر الأمم الغابرة وأخبارهم، وإن ذلك والله يبعث على التوبة؛ لأنك إذا اعتبرت بنزول العذاب وما كان فيه «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ» [غافر:٨٤-٨٥].

ما في قرية في العالم إلا سيهلكها الله قبل يوم القيامة «وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا» [الإسراء:٥٨].

وبناءً عليه يا عباد الله، فإن ما يكون الآن في العالم عن الأمم المكذبة الخارجة عن الوحي فلهم عذاب شديد سيأتيهم، فلذلك لا يغتر المغتر بما عندهم من الدنيا ولا يقلدهم المقلدون..

والله لو عرف شباب قومي ما يعذب الله به أولئك الذين خرجوا عن شرعه ما تشبهوا بهم ولا صاروا على منوالهم، ولا أعجبوا بهم، بل إذا رؤوا ما هم فيه من الكفر والفسوق خافوا نزول عذاب الله «وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا

ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا » [الإسراء: ١٦].

وعندما نرى بالمقابل في بعض بلاد المسلمين اليوم ما يحدث فيها من الجرائم، فإنك تتأمل في مثل قوله تعالى: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ » [الأنعام: ١٢٣].

وعندما تتأمل ما يحدث من التدافع سنة المدافعة بين الكفار والمسلمين والمشركين والموحدين وأهل السنة وأهل البدعة، عندما تتأمل تتذكر ذلك في قوله تعالى: «وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ » [البقرة: ٢٥١]، «وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ » [الحج: ٤٠].

سيخرج معك من الفوائد ما لا يعلمه إلا الله، لما تتأمل في قوله: « ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ » [الحج: ٤١] تعرف كيف يؤتى البلد الأمان من الله عز وجل.

عندما نتأمل في نهاية الطغاة المتكبرين كما حصل لفرعون عليه لعنة الله: « فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ » [النازعات: ٢٠-٢٦].

وهذه نهاية كل ظالم تعدى وجار.. فما راعى الأهل ولا الجار.. بينا هو يعقد عقد الإصرار.. حل به الموت فحل من حلته الأزرار.. ما صحبه سوى الكفن إلى بيت البلى والعفن.. لو رأيته وقد حلت به المحن وشين ذلك الوجه الحسن.. فلا تسأل كيف صار.. سال في اللحد صديده، وبلي في القبر جديده، وهجره نسيبه ووديده.. وتفرق حشمه وعبيده والأنصار.. أين مجالسه العالية؟ أين عيشته الصافية؟ أين لذاته الحالية؟ كم تسفى على قبره سافية.. ذهبت العين وأخفيت الآثار.. تقطعت به جميع الأسباب.. وهجره القرناء والأحباب.. وصار فراشه الجندل والتراب.. وربما فتح له في اللحد باب النار.. خلا والله بما كان صنع.. واحتوشه الندم وما نفع.. وتمنى الخلاص وهيهات قد وقع.. وخلاه الخليل المصافي وانقطع.. واشتغل الأهل بما كان جمع.. وتملك الضد المال والدار..فاعتبروا يا أولي الأبصار.

من تأمل الطغاة وما وقع لهم يسلي نفسه عن إجرام هؤلاء الحاليين بما حصل لأسلافهم الماضين:

باتوا على قلل الجبال تحرسهم
غُلْبُ الرجالِ فلم تنفعهمُ القُللُ
واستنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم
وأودعوا حفرًا يا بؤس ما سكنوا
ناداهمُ صارخٌ من بعد ما دفنوا
أين الأسرّةُ والتيجانُ والحللُ
أين الوجوه التي كانتْ محجبة
من دونها تضربُ الأستارُ والكللُ
فأفصحَ القبرُ عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدودُ يقتتلُ
قد طالما أكلوا فيها وما شربوا
فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا
وطالما كنزوا الأموال وادّخروا
فخلّفوها على الأعداء وارتحلوا
وطالما عمّروا دورًا لتُحصنهم
ففارقوا الدورَ والأهلينَ وانتقلوا
أضحت مساكنهم وحشا معطلة
وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا
أين الكنوز التي كانت مفاتحها
تنوء بالعصبة المقوين لو حملوا
أين العبيد التي أرصدتهم عددا
أين الحديد وأين البيض والأسل
أين الفوارس والغلمان ما صنعوا
أين الصوارم والخطية الذبل
هيهات ما كشفوا ضيما وما دفعوا
عنك المنية إن وافى بها الأجلُ

وكما أهلك الله الأولين من الطغاة يهلك الآخرين، وسيتبع أولئك بأولئك، ثم يتبعهم لعنة ولهم سوء الدار..

والمهم أن يحقق المؤمنون شروط النصر؛ لأن من العبرة العظيمة في كتاب الله «إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ » [محمد: ٧] ووعد وهو لا يخلف الميعاد «وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ» [الروم: ٤٧].

فعليك أخي أن تتعلّم دين الله والعمل به والدعوة إليه وتحكيم الشرع في الواقع والصبر والمصابرة، وسيأتي النصر ولا بد.

مواعظ وعبر من التاريخ

إن في التاريخ لعبرًا وإن في قصص المجرمين ممن سبق مواعظ كثيرة، سواء ممن استكبر أو ممن أجرم.

عن عمرو بن شيبة قال: كنت بمكة بين الصفا والمروة، فرأيت رجلاً راكباً بغلة وبين يديه غلمانه يعنفون الناس، ثم عدت بعد حين إلى بغداد فدخلتها فكنت على الجسر، فإذا أنا برجل حافي حاسر طويل الشعر، فجعلت أنظر إليه وأتأمله، فقال لي: ما لك تنظر إليّ؟ فقلت له: شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له صفته، فقال له: أنا ذلك الرجل، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس.

وكم كان في التاريخ من عبر لمن خانوا الأمة كابن العلقمي الذي تحالف مع التتار ضد المسلمين، وكاتبهم حتى دخلوا فقضوا على الخليفة ومن معه من المؤمنين، ولكن ماذا حصل له بعد ذلك؟ حصل له الإهانة والذلة والقلة على أيدي التتار الذين خدمهم وولاهم على المسلمين، وقد رأته امرأة وهو في الذل والهوان يركب برذونًا وسائق يسوق به ويضرب فرسه، فوقفت إلى جانبه، وقالت له: يا ابن العلقمي هكذا كان بنو العباس يعاملونك؟! وانقطع في داره إلى أن مات كمدًا.

وكذلك فإن المجرمين الطغاة الذين يعذبون أهل الإسلام لله فيهم شأن عظيم « قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ» [آل عمران:٢٦] فسبحانه يضع من يشاء ويرفع من يشاء.

وقد أذل الله أقوامًا من الجبابرة، أين النمرود؟ وأين فرعون؟ وأين أبو جهل؟ وأين هامان؟ وأين قارون؟ وأين أبو لهب؟ «تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ» [المسد: ١].

الدنيا لا تدوم لأحد والله يمهل ولا يهمل، وهذه الدنيا عجيبة في تقلباتها وتغيرها على أربابها، وفي التاريخ قصص ومن ذلك ما كان عليه بعض الناس من القوة فصاروا في ذلة ومن الغنى فصاروا في فقر.

والبطاش منهم بطش الله به، وكان أحدهم ممن يبطش بالناس سلط الله عليه ظالمًا مثله فخلعه وثمل عينيه وأودعه دارًا حتى صارت حاجته شديدة ثم أطلقه، فكان يحبس ويطلق ويحبس ويطلق، فوقف يومًا بجامع المنصور بين الصفوف، وقال: تصدقوا عليَّ فأنا من قد عرفتم..

أيها المسلمون: إن هذا الاعتبار يخفف عن المؤمن الآلام التي يجدها، وإن التأمل في عواقب المجرمين التي ذكرها الله في كتابه يخفف أيضًا، هؤلاء الذين يطلقون على حمص بالقنابل والصواريخ الحرارية والكيماوية، والقصف الجوي، وهؤلاء الذين يهددون بالإبادة وأسلحة الدمار الشامل، الله فوقهم.. والله أقدر منهم، والله عليهم قادر، والله قوي، والله كبير، والله متعال، والله منتقم، والله عز وجل سريع الحساب.

«إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» [هود:١٠٢] إذا بطش لا يقوم لبطشته أحد، «وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾» [هود:١٠٢]. وفرعون أخذه الله أخذًا وبيلاً.

عباد الله: إن لجهنم أهلاً ومن هم؟ المجرمون يوم يسحبون في النار على وجوههم، هؤلاء يحشرون يوم القيامة زرقًا، زرق العيون، هؤلاء لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط.

« إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾» [القمر:٤٧]، هؤلاء إذا رؤوا النار « وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا» [الكهف:٥٣] يعني أيقنوا «أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا» [الكهف:٥٣] خلقها الله لمثل هؤلاء في هذه الدركة من دركات جهنم.

اللهم إنا نسألك يا أرحم الراحمين أن تنصر إخواننا المستضعفين بالشام وسائر الأرض يا أرحم الراحمين..

من صحيح الأحاديث القصار

درر البحار

إعداد/ علي حشيش

٢٨٠١- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ». [جه: ٩٩٩، وهذا حديث حسن].

٢٨٠٢- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ فَبَايَعَ تِسْعَةً، وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ، فَقِيلَ له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايَعْتَ تِسْعَةً وَتَرَكْتَ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ هذا عَلَيْهِ تَمِيمَةً، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا، فَبَايَعَهُ، وَقَالَ: مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ.

[حم: ٤/١٥٦، ح١٧٣٥٣، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٨٠٣- عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يوم بدر لي ولأبي بكر: «مَعَ أَحَدِكُمَا جِبْرِيلُ، وَمَعَ الآخَرِ مِيكَائِيلُ، وَإِسْرَافِيلُ مَلَكٌ عَظِيمٌ يَشْهَدُ الْقِتَالَ، وَيكونُ في الصَّفِّ»

[الحاكم في المستدرك ٢/٦٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي].

٢٨٠٤- عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ الْخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ». قِيلَ: وَمَا اسْتَعْمَلَهُ؟ قَالَ: «يُفْتَحُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ مَنْ حَوْلَهُ».

[حم: ٥/٢٢٤، ح٢١٩٩٨، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٨٠٥- عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الرَّاكِبُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ، وَالْمَاشِي حَيْثُ شَاءَ مِنْهَا، وَالطِّفْلُ يُصَلَّى عَلَيْهِ».

[د (٣١٨٠)، ن(١٩٤٢)، ت(١٠٣١)، جه(١٥٠٧)، واللفظ للترمذي، وقال: حديث حسن صحيح].

٢٨٠٦- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا حَمَلْنَا الْقَتْلَى يَوْمَ أُحُدٍ لِنَدْفِنَهُمْ، فَجَاءَ مُنَادِي النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَدْفِنُوا الْقَتْلَى فِي مَضَاجِعِهِمْ، فَرَدَدْنَاهُمْ».

[د (٣١٦٥)، ن(٢٠٠٣)، ت(١٧١٧)، جه(١٥١٦)، واللفظ لأبي داود، والحديث صحيح].

٢٨٠٧- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ لِغَيْرِنَا».

[د(٣٢٠٨)، ن(٢٠٠٨)، ت(١٠٤٥)، جه(١٥٥٤)، قال الترمذي: حديث ابن عباس حديث حسن غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن جرير بن عبد الله، وعائشة، وابن عمر وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم جميعًا].

٢٨٠٨- عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال في مَرَضِهِ الَّذِي مات فيه: «الْحَدُوا لِي لَحْدًا وَانْصِبُوا عَلَيَّ اللَّبِنَ نَصْبًا كَمَا صُنِعَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

[م(٩٦٦)، ن(٢٠٠٧)، جه(١٥٥٦)، وهذا حديث صحيح].

٢٨٠٩- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُسَلِّمُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ حَتَّى يُرَى بَيَاضُ خَدِّهِ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ». [د(٩٩٦)؛ ن(١٣٢٣)، ت(٢٩٥)، جه (٩١٤)، قال الترمذي: حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح، والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم].

٢٨١٠- عن أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْت أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حُرِّمَ عَلَى النَّارِ».

[د(١٢٦٩)، ن(١٨١٥)، ت(٤٢٨)، جه (١١٦٠)، وهذا حديث صحيح].

٢٨١١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عنهما قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَمْشُونَ أَمَامَ الْجَنَازَةِ».

[د(٣١٧٩)، ن(١٩٤٣)؛ (١٩٤٤)، ت(١٠٠٧)، جه(١٤٨٢)؛ (١٤٨٣)، وهذا حديث صحيح].

٢٨١٢- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تُجْزِئُ صَلاَةُ الرَّجُلِ حَتَّى يُقِيمَ ظَهْرَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ».

[د(٨٥٥)، ن(١٠٢٧)؛ (١١١)، ت(٢٦٥)، جه (٨٧٠)، وهذا حديث صحيح].

٢٨١٣- عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَكَعَ فَقَالَ فِي رُكُوعِهِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، وَفِي سُجُودِهِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى».

[د(٨٧١)، ن(١٠٣٦)، ت(٢٦٢)، جه (٨٨٨)، وهذا حديث صحيح].

٢٨١٤- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلاَةَ قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ».

[د(٧٧٥)، ن(٨٩٨)؛ (٨٩٩)، ت(٢٤٢)، جه (٨٠٤)، وهذا حديث صحيح].

٢٨١٥- عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:«يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوْ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ إِنْ وُلِّيتُمْ مِنْ هَذَا الأَمْرِ شَيْئًا فَلاَ تَمْنَعُوا أَحَدًا طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ وَصَلَّى أَيَّةَ سَاعَةٍ شَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ».

[د(١٨٩٤)، ن(٢٩٢٤)، ت(٨٦٨)، جه (١٢٥٤)، وهذا حديث صحيح].

٢٨١٦- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها قَالَتْ: مَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلاَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ.

[د (٥٠٩٤)، ت(٣٤٢٧)، ن(٥٥٠١)، جه (٣٩٥٣)، واللفظ لأبي داود، وهذا حديث صحيح].

الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلقة الثالثة

طاعة النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما أمر

إعداد/ سعيد عامر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فما يزال الحديث متصلاً عن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد تقدم الحديث عن وجوب الإيمان والتصديق برسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا اللقاء نبين وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما أمر، فنقول وبالله التوفيق:

توحيد الله عز وجل يقوم على أمرين: الأول: إفراد الله عز وجل بالعبادة وحده لا شريك له.

والثاني: إفراد النبي صلى الله عليه وسلم بالمتابعة لا ينازعه في ذلك أحد من خلق الله.

وهما مدلول الركن الأول: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

وقد أشار ربنا إلى ذلك في كثير من آي القرآن، ومن ذلك:

«فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» [الكهف:١١٠]، والعمل لا يكون صالحا إلا إذا كان مأخوذًا عن نبينا صلى الله عليه وسلم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» متفق عليه. وقال صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه.

فطاعة النبي صلى الله عليه وسلم أحد ركائز دين الإسلام وأساسياته، ومن المعلوم من الدين بالضرورة، قال تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا» [الحشر:٧].

فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة لله تعالى، ولا يقبل الله من أحد صرفًا ولا عدلاً إلا باتباعه صلى الله عليه وسلم، قال الله عز وجل: «مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾» [النساء:٨٠].

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتوعد على معصيته بالعقوبة الشديدة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» [النساء:٥٩].

فالمؤمنون الصادقون في إيمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم يطيعون أمره، ويقولون: «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا» [النساء:٤٦]، سمع بلا تردد، وطاعة بلا انحراف ولا جدال، تصدق أعمالهم أقوالهم.

أما المنافقون الذين يتظاهرون بالإسلام وتخالف سريرتهم علانيتهم، يقولون بألسنتهم ويكذبونها بسلوكهم وأعمالهم، يكذبون بالأعمال ما قالوه باللسان، «وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾» [النور:٤٧- ٥٢].

إن من الواجب على كل مسلم أن يعلم علم اليقين أن كل أمر أتى من السماء إلى النبي الذي لا ينطق عن الهوى إنما هو أمر واجب النفاذ، كما يجب على الجنود في ميدان القتال تنفيذ الأوامر التي تصدر إليهم من القادة، وإلا كانت الهزيمة والخذلان.

فالواجب كمال التسليم للرسول صلى الله عليه وسلم، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يعارضه بخيال باطل، أو يقدم عليه آراء الرجال.

وهذا شرط الإيمان وحد الإسلام، طاعة الله عز وجل - ابتداءً - وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ بما له من هذه الصفة، صفة الرسالة من الله، فطاعة الرسول إذن من طاعة الله الذي أرسله بهذه الرسالة.

قال الله عز وجل: « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾» [التغابن:١٢].

وقال سبحانه: «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا» [النور:٥٤].

وقال تعالى: «وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» [النور:٥٦].

وقال عز من قائل: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾» [آل عمران:٣١ - ٣٢].

وقال تبارك اسمه: «وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾» [النساء:١٣ - ١٤].

وقال جل ثناؤه: « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾» [النساء:٦٥].

ولذا فإن اتباع الرسول والتأسي به فيما جاء به من ربه من الأمور المستقرة الوجوب، والتي لا يسع أحدًا الجهل بها؛ لأنها من المعلوم من الدين بالضرورة، لتواتر النصوص الدالة على ذلك، ومن الأحاديث النبوية في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ما رواه البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».

وروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني».

وروى البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنْ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلْ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ الْمَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ. [البخاري ٦٨٥٢].

وهكذا نجد النصوص قرنت بين طاعة الله سبحانه، وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولذا كان السلف - رحمهم الله - يدورون مع النصوص حيث دارت، ويحكمون على الرجل بأنه على الطريق ما كان على الأثر.

فيجب على المسلم الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في الاعتقادات، بأن يعتقد

المسلم ما اعتقده النبي صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي اعتقده.

ويجب على المسلم الاقتداء والتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأقوال: بامتثال مدلولها، وما جاءت به من معان، لا أن يكرر ألفاظها ويردد نصوصها فحسب، فمثلاً الاتباع لقوله صلى الله عليه وسلم: «صلوا كما رأيتموني أصلي» -رواه البخاري وغيره- يكون بالصلاة كصلاته، والاتباع لقوله: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا» -رواه مسلم وغيره- يكون بترك الحسد والنجش، ويجب على المسلم الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في الأفعال: بأن نفعل مثل فعله، على الوجه الذي فعله، من أجل أنه فعله.

فمثلاً: لو أردنا أن نقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في صومه، فلا بد أن نصوم على الصورة التي صامها صلى الله عليه وسلم، بحيث نمسك عن جميع المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، بقصد التقرب إلى الله تعالى، فلو أمسك أحدنا عن بعض المفطرات فقط، لم يكن متبعًا، كما لو أمسك في جزء من الوقت فقط لم يكن متبعًا.

ويجب على المسلم الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم في التروك: بأن نترك ما ترك، على الصفة والوجه الذي ترك، من أجل أنه ترك.

مثلاً: قام النبي صلى الله عليه وسلم بترك الصلاة عند طلوع الشمس، فيترك المتأسي الصلاة في ذلك الوقت على الوجه الذي ترك النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأجل أنه ترك.

فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في العمل بكل ما جاء به من أوامر ونواهٍ في القرآن الكريم؛ باعتباره وحيًا من الله تعالى إليه صلى الله عليه وسلم، والعمل بالسنة المطهرة، روى الإمام أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع: «ألا أني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه».

قال عطاء: طاعة الرسول: اتباع الكتاب والسنة.

وقال العلامة السعدي: وإن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفته، وإن نص الرسول صلى الله عليه وسلم على حكم كنص الله تعالى لا رخصة لأحد ولا عذر في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله. [راجع تفسير السعدي: ٣٣٣/٧].

ويقول العلامة ابن عثيمين: يجب أن نعلم أن ما أمر الله به ورسوله، أو نهى الله عنه ورسوله فهو لحكمة، فعلينا أن نُسلم، ونقول إذا سألنا أحد عن الحكمة في أمر من الأمور: إن الحكمة أَمْرُ الله ورسوله في المأمورات، ونهى الله ورسوله في المنهيات، ودليل ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ» [الأحزاب:٣٦].

وسُئلت عائشة رضي الله عنها: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، فاستدلت بالسنة ولم تذكر العلة، وهذا هو حقيقة التسليم والعبادة، أن تكون مسلمًا لأمر الله ورسوله، عرفت حكمته أم لم تعرف، ولو كان الإنسان لا يؤمن بالشيء حتى يعرف حكمته لقلنا: إنك ممن اتبع هواه فلا تمتثل إلا حيث ظهر ذلك أن الامتثال خير. اهـ. [راجع الشرح الممتع على زاد المستقنع ١٦٥/٤، ١٦٦].

ولا يفهم من ذلك أن البحث عن الحِكَم والمعاني في العبادات ليس بمطلوب، كيف لا وقد ذكر الله تعالى شيئًا من ذلك: «لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ» [البقرة:٢١٩]، «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» [البقرة:٧٣]، «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [البقرة:٢١]، لكن التحذير من التنطع في استخراجها، أو ربط القيام بالتنفيذ والعمل بمعرفتها.

نسأل الله أن يصلح قصدنا وأن يوفقنا للخير وأن يرزقنا الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شبهات حول الصحابة

عليٌّ رضي الله عنه في عهد الفاروق



إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعدُ:

فإن عليًا رضي الله عنه كان المستشار الأول في عصر الدولة العمرية؛ حيث كان عمر رضي الله عنه يعرف له فضله وعلمه وحكمته، وهو القائل في حقه: «أقضانا عليّ». [الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص١١٠٢]. والقائل أيضًا: «أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن». [فضائل الصحابة: ١١٠٠].

وكان علي رضي الله عنه يشد من أزر الفاروق ولا يبخل برأيه عنه ويجتهد معه فيما لم يرد فيه نص وفي تنظيم الدولة الإسلامية، من ذلك:

١- أن عمر رضي الله عنه جيء له بامرأة زانية، فلما ذهبوا بها ليرجموها لقيهم علي رضي الله عنه، فقال: ما هذه؟ قالوا: زنت، فأمر عمر برجمها، فانتزعها علي من أيديهم وردهم، فرجعوا إلى عمر، قال: ما وراءكم؟ قالوا: ردنا علي. قال: ما فعل هذا علي إلا لشيء قد علمه، فأرسل إليه وسأله: لماذا رد المرأة؟ قال له علي: أما سمعت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رُفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل». قال عمر: بلى، قال علي: فإن هذه مبتلاة بني فلان، فلعلها أتاها وهو بها (أي الجنون). [رواه أحمد: ١٣٢٨].

٢- مضاعفة الحد لشاربي الخمر:

أخذ عمر برأي علي رضي الله عنه فضاعف الحد لمن شرب الخمر، وذلك لانتشار شربها، لاسيما في البلاد المفتوحة حديثًا، وذلك لحداثة عهدهم بالإسلام، فأشار عليّ على عمر رضي الله عنهما أن يجلد فيها ثمانين كأخف الحدود، وبين علة ذلك بقوله: تراه إذا سكر هذي، وإذا هذي افترى، وعلى المفتري ثمانون». [حسن إسناده الألباني].

وبهذا القدر من الجلد أخذ مالك وأبو حنيفة والثوري ومن تبعهم، إلا أن الشافعي وأحمد في إحدى رواياته على أنه يحد أربعون فقط، والزيادة للإمام من قبل التعزير في حالة زيادة الشاربين لها، وانتصر لهذا شيخ الإسلام رحمه الله. [راجع الفتاوى: ٢٨/٣٣٦].

٣- عندما فرق عمر رضي الله عنه بين امرأة

وزوجها؛ لأنه نكحها في العدة وجعل صداقها في بيت المال، وقال: لا أجيز مهرًا رُد نكاحه، وقال: لا يجتمعان أبدًا، وبلغ ذلك عليًا فقال: إن كان جهلوا بالسنة لها المهر بما استحل من فرجها، ويفرق بينهما، فإذا انقضت عدتها فهو خاطب من الخطاب، فرجع الفاروق إلى رأي علي رضي الله عنه، وقال: ردوا الجهالات إلى السنة. [المغني: ١١/٦٦].

٤- جاءت امرأة تعلقت بشاب أنصاري فدفعها هواه فألقت بياض بيضة على ثوبها وبين فخذيها، واتهمت ذلك الشاب بأنه غلبها على نفسها وفضحها في أهلها، وهذا أثر فعله، فاستشار عمر رضي الله عنه نساءً من بني جنسها، فأخبرنه أن أثر المني في ثوبها، فهمّ عمر بمعاقبة الشاب، غير أن الشاب جعل يستغيث ويقسم بالله أنه ما فعل فاحشة وما همَّ بها، وأنها راودته عن نفسه فاعتصم. فقال عمر: يا أبا الحسن ماذا ترى في أمرهما؟ فنظر إلى الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان فصب على الثوب فجمد ذلك البياض، ثم أخذه واشتمه وذاقه فعرف طعم البيض، وزجر المرأة فاعترفت. [الطرق الحكمية لابن القيم ص٤٨].

من كل ما سبق يتضح لنا أن الفاروق عمر رضي الله عنه كان يهتم بأمر الشورى في حكمه مع كبار الصحابة، لاسيما علي رضي الله عنه الذي كانت له منزلة خاصة متميزة. [الاجتهاد في الفقه الإسلامي ص١٤٧].

ولم يقف الأمر عند الأمور الفقهية فقط، بل امتد ليشمل الأمور المالية أيضًا، ومن ذلك:

١- أن عمر رضي الله عنه لما تولى أمور الخلافة انشغل عن تجارته بأمور المسلمين، فدخلت عليه فاقة، ولم يكفه ما يربحه من التجارة، فتشاور الصحابة في ذلك، فقال عثمان: كل واطعم، وقال عليّ لما سأله عمر ما تقول في ذلك؟ قال: غذاء وعشاء، فأخذ عمر بذلك، وقال: إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزل قيم اليتم، إن استغنيت عنه تركت، وإن افترقت إليه أكلت بالمعروف. [الخلافة الراشدة: ٢٧٠].

٢- لما أراد عمر رضي الله عنه تقسيم مال المسلمين فضلت منه فضلة، فشاور بعض الصحابة، فقالوا: لو تركته لنائبة إن كانت، وعلي ساكت لا يتكلم، فقال عمر: ما قولك يا علي، قال علي رضي الله عنه: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه مال البحرين قسمه كله، فوكَّل عمر عليًا في تقسيمه.

٣- عندما احتاج عمر رضي الله عنه أن يؤرخ بتاريخ لتنظيم أمور الدولة وضبطها، اقترح عليّ عليه أن يؤرخ بالهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، ففعل عمر برأي علي رضي الله عنهما.

٤- استخلف عمر رضي الله عنه عليًا رضي الله عنه على المدينة عند خروجه لملاقاة الروم عند ماء حر، وعند خروجه للحج سنة ٢٠هـ وعند خروجه لفتح بيت المقدس. [المنتظم: ٤/١٩٢].

٤- مشاورة الفاروق رضي الله عنه لعليّ عند فتح بيت المقدس، وعند توجهه لنهاوند لقتال الفرس، وعند خروجه لقتال الروم، وهذا يشير إلى أن عمر كان يوالي عليًا ويحبه، وعليّ كان يبادله الحب والخوف عليه والحرص على سلامته.

كل ذلك يرد قول المرجفين من الرافضة الذين صوروا لنا الخلافة بين الخلفاء الراشدين على أنها مؤامرات، وكل واحد منهم كان يتربص بالآخر يورده المهالك، وليس معنى مشاورة عمر لعليّ رضي الله عنهما أو غيره من الصحابة رضي الله عنهم أنه دونهم في الفقه والعلم، ولكن كان ذلك لحكم عديدة منها:

١- إيمانه وحبه للشورى.

٢- تعليم الحكام من بعده مبدأ الشورى في الحكم.

٣- عدم الاستبداد بالرأي والأمر.

والدليل على ذلك أن عليًا رضي الله عنه كثيرًا ما كان يتابع عمر رضي الله عنه فيما يذهب إليه ويراه.

بالإضافة إلى كل ما سبق فإن عمر رضي الله عنه كان شديد الإكرام لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم، يؤثرهم على أبنائه وعائلته، ومن ذلك أنه قال للحسين بن علي رضي الله عنه: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، وذلك عندما جاء الحسين ووجد عبد الله بن عمر على باب أبيه ولم يأذن له فرجع.

وكان يقدم بني هاشم في العطاء، فعن عبد الرحمن بن عوف أن عمر رضي الله عنه أراد أن يفرض للناس بعد فتح بيت المقدس، فجمع الناس فقال له ابن عوف: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله بالأقرب من رسول الله صلى الله عليه

وسلم، ومن بني هاشم رهط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفرض للعباس ثم لعلي حتى انتهى إلى بني عدي بن كعب، وفرض للحسن والحسين. [الخراج لأبي يوسف ص٢٤، ٢٥].

وكان علي رضي الله عنه يخرج ببرد عدني يكثر لبسه، فلما سئل عنه قال: كسانيه خليلي وصفيّ عمر بن الخطاب، ثم بكى. [مصنف ابن أبي شيبة ٢٩/١٢].

ومما يحرق قلوب الرافضة ويرغم أنوفهم زواج عمر رضي الله عنه من أم كلثوم بنت علي رضي الله عنه، وذلك اعترافًا بفضل عمر وجمال سيرته ومناقبه، وتأكيدًا للعلاقات الطيبة والصلات المحكمة التي تجمع بين الخليفتين، ويؤكد ما كان يُكنّه عمر رضي الله عنه لآل البيت من محبة خاصة، وذلك لما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من إكرام أهل البيت ورعاية حقوقهم.

وأقر بهذا الزواج محدثي الشيعة وفقهاؤهم وأئمتهم -المعصومين بزعمهم-. [راجع الشيعة وأهل البيت لإحسان إلهي ظهير ص١٠٥].

ومن علماء السنة الذين ذكروا هذا الزواج شيخ المفسرين الطبري وابن كثير والذهبي وابن الجوزي وابن حجر وابن سعد وغيرهم من علماء التراجم والسير، وذكر المؤرخون أن أم كلثوم أنجبت من عمر رضي الله عنهما رقية وزيد، وعندما مات زيد مع أمه أم كلثوم في وقت واحد صلى عليهما السلام عبد الله بن عمر، وصلى الحسن بن علي خلفه رضي الله عن أصحاب رسول الله. [راجع مصنف ابن أبي شيبة ٥٧٦/١٤، وأسد الغابة ٤٥/٧].

ومن أكاذيب الرافضة التي سجلتها كتبهم وروّجها علماؤهم أن عمر رضي الله عنه همَّ بإحراق بيت فاطمة؛ وذلك لأن بيت فاطمة اجتمع فيه نفرٌ من آل البيت أرادوا شق عصا طاعة المسلمين وعدم بيعة الصديق. [راجع دلائل الإمامة للطبري ص٢٦].

والصحيح أن عمر رضي الله عنه بعد بيعة الصديق دخل على فاطمة، وقال لها: يا بنت رسول الله، ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك. [مصنف ابن أبي شيبة ٥٦٧/١٤]، كما زعم بعض الرافضة أن عمر ضرب فاطمة حتى أسقط ولدها محسنًا وهو في بطنها، وهذه من الأكاذيب الرافضية التي لا أساس لها، وما علم هؤلاء الكاذبون أنهم بذلك يطعنون في علي رضي الله عنه، وذلك لاتهامه بالجبن والسكوت عندما أوذيت زوجته كما يدعي هؤلاء، والصحيح أن محسنًا وُلد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك في الروايات الصحيحة. [راجع سيرة علي بن أبي طالب للصلابي ص١٤٩].

لقد رفض بعض علماء الرافضة هذا الكذب والإفك والهذيان. [راجع مختصر التحفة الاثنا عشرية ص٢٥٢].

٧- وكذا فإن في ترشيح عمر عليًا للخلافة مع أهل الشورى، وما قاله عليّ في عمر بعد استشهاده دليل بيّن على المحبة والنصرة التي كانت بين الخليفتين الراشدين.

وقصة الشورى رواها البخاري في صحيحه؛ حيث سمى رحمه الله ستة نفر مات الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، هم علي، وعثمان والزبير، وطلحة وسعد، وعبدُ الرحمن بن عوف، ثم دعا خاصتهم وهم عبد الرحمن وعثمان وعلي فوعظهم. [البخاري: ٣٧٠٠].

والفاروق رضي الله عنه أوصى بذلك؛ لأنه رأى أن الأمر متقارب بين الستة في الفضل، وأنه ليس أحدهم أحق بالأمر من غيره، فجمع بين المصلحتين: مصلحة تعيينهم فلا أحد أحق بالخلافة سواهم، وترك تعيين واحد منهم لما تخوّفه من التقصير. [راجع منهاج السنة ١٦٢/٤].

وأخيرًا تأمل أخي فيما قاله عليّ بعد استشهاده عمر، قال ابن عباس: لما وقع عمر على سريره وتكنفه الناس يدعون ويصلون، وقبل أن يُرفع أخذ عليّ بمنكبي وقال عن عمر: ما خلّفت أحدًا أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إني كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كنت كثيرًا ما أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، ثم ترحم عليه. [البخاري: ص٣٦٨٥].

ولذا فإن آل البيت لحبهم للفاروق، وتقديرًا لما قدمه للإسلام والمسلمين، وإقرارًا بالصلات الوطيدة التي تربطهم بالفاروق سموا أبنائهم باسمه. [راجع الشيعة وأهل البيت ص١٣٤].

وللحديث بقية، والله من وراء القصد.

والحمد لله رب العالمين.

تكريم الإسلام للمرأة

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمدُ لله الذي أضاء بكتابه القلوب، وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب، فأعيت حكمته الحكماء، وأبكمت فصاحته الخطباء، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي بعثه اللهُ هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله تعالى بإذنه وسراجاً منيرا.

أما بعد: فإن الإسلام كرَّم المرأة وأعطاها حقوقها كاملة في جميع مجالات الحياة، من أجل ذلك أحببت أن أُذَكِّر نفسي وإخواني الكرام ببعض مظاهر تكريم الإسلام للمرأة، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

المرأة عند غير المسلمين

سوف نتحدث بإيجاز عن موقف المرأة ومكانتها عند غير المسلمين.

(١) المرأة عند الإغريق:

كانت المرأة عند الإغريق مُحتَقَرةً، حتى سَموها رجسًا من عمل الشيطان، وكانت عندهم كَسَقَط المتاع، تُباع وتُشترى في الأسواق، مسلوبة الحقوق، محرومة من حق الميراث وحق التصرف في المال، ومما يُذكر عن فيلسوفهم (سقراط) قوله: (إن وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والانهيار في العالم، إن المرأة تشبه شجرة مسمومة حيث يكون ظاهرها جميلاً، ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالاً) [المرأة . لمحمد إسماعيل المقدم صـ٤٧].

(٢) كان الرومان لا يُوَرِّثُونَ الزوجة من زوجها مطلقاً، وحتى ولو لم يكن له وارث، وكانوا يحرمون الأصول، وفيهم الأم، عند وجود الفروع. [شبهات حول المرأة لمصطفى أبو الغيط جـ١صـ٢٦٢].

(٣) المرأة عند الصينيين القدماء:

شُبهت المرأة عند الصينيين بالمياه المؤلمة التي تغسل السعادة والمال، وللصيني الحق في أن يبيع زوجته كالجارية، وإذا ترملت المرأة الصينية أصبح لأهل الزوج الحق فيها كثروة، وتُوَرَّث، وللصيني الحق في أن يدفن زوجته حية! [المرأة . لمحمد إسماعيل المقدم صـ٤٨].

(٤) المرأة عند الهنود:

في شرائع الهندوس أنه: ليس الصبر المقدَّر، والريح، والموت، والجحيم، والسم، والأفاعي، والنار، أسوأ من المرأة. [المرأة . لمحمد إسماعيل المقدم صـ٤٩]

(٥) المرأة عند الفرس:

أُبيح الزواج بالأمهات والأخوات والعمات والخالات، وبنات الأخ وبنات الأخت، وكانت تُنفى الأنثى في فترة الحيض إلى مكان بعيد خارج المدينة، ولا يجوز لأحد مخالطتها إلا الخدام الذين يُقدمون لها الطعام، وفضلاً عن هذا كله فقد كانت المرأة الفارسية تحت سلطة الرجل المطلقة، يحق له أن يحكم عليها بالموت، أو يُنعم عليها بالحياة. [المرأة .

لمحمد إسماعيل المقدم صـ٥٠]

(٦) المرأة عند اليهود:

كانت بعض طوائف اليهود تعتبر البنت في مرتبة الخادم، وكان لأبيها الحق في أن يبيعها قاصرة. [المرأة . لمحمد إسماعيل المقدم صـ٥٠:٥١].

وعندهم أيضاً يرث البكرُ الذَّكر وحده كُلَّ التركة، ولا شيء لأحد غيره من الإناث، لا الأم، ولا البنت، ولا الزوجة.

وإذا كان ورثة الميت ذكوراً، تميز البكر بأخذ ضعف كل من الآخرين، ولا شيء للأب عند الفرع الوارث. وإذا كان للميت بنت فقط، ليس معهن ذكر، كان للمورث أن يُوصي بكل ماله لمن يشاء غيرهن، وأن يحرمهن كلهن. [شبهات حول المرأة لمصطفى أبو الغيط جـ١صـ٢٦٣:٢٦٥]

(٧) المرأة عند العرب في الجاهلية:

قال الله تعالى: « وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى التُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ » [النحل ٥٨:٥٩].

وأد البنات أحياء:

قال الله تعالى: «وَإِذَا الْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾» [التكوير:٨:٩].

الموءودة: هي البنت التي تُدفنُ حيةً، من الوأد، وهو الثقل، كأنها سُميت بذلك لأنها تُثقَّل بالتراب حتى تموت.

قال ابنُ كثير رحمه الله: (الْمَوْءُۥدَةُ) هِيَ الَّتِي كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَدُسُّونَهَا فِي التُّرَابِ كَرَاهِيَةَ الْبَنَاتِ، فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تُسْأَلُ الْمَوْءُودَةُ عَلَى أَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ، لِيَكُونَ ذَلِكَ تَهْدِيدًا لِقَاتِلِهَا، فَإِذَا سُئِلَ الْمَظْلُومُ فَمَا ظَنُّ الظَّالِمِ إِذًا؟! [تفسير ابن كثير جـ١٤صـ٢٦٣].

روى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي قَوْلِهِ:(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)، قَالَ: جَاءَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي وَأَدْتُ بَنَاتٍ لِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: «أَعْتِقْ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ رَقَبَةً». [تفسير ابن كثير جـ١٤صـ٢٦٥].

× كان الجاهليون قبل الإسلام، يُوَرِّثُونَ الذكور القادرين على الحرب، فلم يكن للإناث ولا للصبية الصغار ميراث.

[شبهات حول المرأة لمصطفى أبو الغيط جـ١صـ:٢٦٢].

روى البخاريُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ، وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ. [البخاري حديث: ٤٩١٣].

× قال الإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله-: إن الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه، فإذا مات وترك امرأته، فإن سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه، فهو أحق بها أن يَنكحها بمهر صاحبه، أو يُنكحها فيأخذ مهرها.وإن سبقته فذهبت إلى أهلها، فهم أحق بنفسها. [تفسير الطبري جـ١٩صـ١٠٧].

(٨) المرأة في بلاد الغرب:

إن المرأة في بلاد الغرب خرجت إلى المصنع والمتجر وغيرهما مجبورة لا مختارة، تسوقها الحاجة إلى القوت، والاضطرار إلى لقمة العيش، بعد أن نكل الرجل عن إعالتها، في مجتمع قاس لا يرحم صغيراً لصغره، ولا أنثى لأنوثتها، وقد أغنانا الله بنظام النفقات في شريعتنا عن مثل هذا. وعمل المرأة عند الأجانب لإعالة نفسها واجب عليها متى وصلت سن البلوغ مهما كان الأب غنياً مُوسراً، فحُرمَ غير المسلمين من نظام النفقة الواجبة التي جاء بها نبينا محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين. [شبهات حول المرأة لمصطفى أبو الغيط جـ١صـ:٣٧٢].

المساواة بين الرجل والمرأة في غالب التكاليف الشرعية:

قال سبحانه: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ » [الأحزاب: ٣٦]، وقال جل شأنه: « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُولَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ » [التوبة: ٧١].

أجمع العلماء على أن كل خطاب مُوجهٌ من الله تعالى للرجال هو مُوجهٌ إلى النساء أيضاً؛ إلا ما دل الدليل على أنه خاص بالرجال دون النساء أو كان خاصاً بالنساء فقط.

المساواة بين الرجل والمرأة في الثواب والعقاب:

قال تعالى: « وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا

﴿يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء:١٢٤]

وقال سبحانه: « مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ » [غافر:٤٠].

روى ابنُ حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «إِذَا صَلَّت الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ». [صحيح الجامع الصغير للألباني حديث: ٦٦٠].

مساواة المرأة للرجل في الحقوق المادية:

أكد الإسلام احترام شخصية المرأة المعنوية، وسَوَّاها بالرجل في أهلية الوجوب والأداء، وأثبت لها حقها في التصرف، ومباشرة جميع العقود: كحق البيع، وحق الشراء، وحق الدائن، وحق المدين، وحق الراهن، وحق المرتهن، كذلك حق الوكالة، والإجارة، والاتجار في المال الخاص، وما إلى ذلك، وكل هذه الحقوق المَدَنيَّة واجبة النفاذ. ولقد أطلق الإسلام للمرأة حرية التصرف في هذه الأمور بالشكل الذي تريده، دون أية قيود تقيد حريتها في التصرف، سوى القيد الذي يقيد الرجل نفسه فيها، ألا وهو قيد المبدأ العام: أن لا تصدم الحرية بالحق أو الخير. فلها أن تملك الضياع، والدور، وسائر أصناف المال بكافة أسباب التملك، ولها أن تمارس التجارة، وسائر تصرفات الكسب المباح، ولها أن تضمن غيرها، وأن يضمنها غيرها، وأن تهب الهبات، وأن تُوصي لمن تشاء من غير ورثتها، وأن تخاصم غيرها على القضاء لها أن تفعل ذلك ونحوه بنفسها، أو بمن تُوَكله عنها باختيارها. [شبهات حول المرأة لمصطفى أبو الغيط جـ١صـ١٢٥:١٢٦].

حرية المرأة في التصرف في مالها:

يجوز للمرأة أن تتصرف في مالها الخاص بها، بدون الحصول على إذن زوجها، بشرط الإنفاق بالمعروف في طاعة الله تعالى.

روى الشيخان عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الحَارِثِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (زوجة نبينا ﷺ) أَخْبَرَتْهُ، أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قَالَتْ: أَشَعَرْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلِيدَتِي (جاريتي)، قَالَ: «أَوَ فَعَلْتِ؟»، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكِ» [البخاري حديث:٢٥٩٢ / مسلم حديث:٩٩٩].

حرية المرأة في اختيار زوجها

أنصف الإسلام المرأة في كل جوانب حياتها، فجعل موافقتها على الزواج شرطاً من شروط صحة العقد، وأعطاها الإسلام الحق في فسخ عقد الزواج إذا زَوَّجها أبوها أو ولي أمرها بغير رضاها؛ ذلك لأن الزواج عقد الحياة فيجب أن يتوافر فيه رضا الطرفين.

روى البخاريُّ عَنْ خَنْسَاءَ بِنْتِ خِذَامٍ الأَنْصَارِيَّةِ أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا وَهِيَ ثَيِّبٌ فَكَرِهَتْ ذَلِكَ فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَرَدَّ نِكَاحَهَا. [البخاري حديث ٥١٣٨].

روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ قَالُوا كَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: أَنْ تَسْكُتَ». [البخاري حديث ٥١٣٦ / مسلم حديث ١٤١٩].

لا يجوز منع المرأة من الزواج بالرجل الكفء

قال جَلَّ شانه: «وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ » [البقرة: ٢٣٢].

العَضْل: منع المرأة من تزويجها بكفئها، إذا طلبت ذلك، ورغب كل واحد منهما في صاحبه.

قال الإمام النووي (رحمه الله): لَوْ أَرَادَ الْوَلِيُّ تَزْوِيجَهَا كُفُؤًا وَامْتَنَعَتْ لَمْ تُجْبَرْ، وَلَوْ أَرَادَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ كُفؤًا فَامْتَنَعَ الْوَلِيُّ أُجْبِرَ فَإِنْ أَصَرَّ زَوَّجَهَا الْقَاضِي. [مسلم بشرح النووي جـ٥صـ٢٢١].

حق المرأة في مفارقة زوجها

إذا وجدت المرأة صعوبةً في الاستمرار في حياتها الزوجية، وتمسكت المرأة بحقها في مفارقة زوجها، فلا حرج في ذلك، لأن الإسلام قد أعطاها ذلك الحق، وهو ما يُسمى بالخُلع.

روى البخاريُّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الكُفْرَ فِي الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْبَلِ الحَدِيقَةَ، وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً» [البخاري حديث: ٥٢٧٣].

وقولها: (مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ): لا أعيبه ولا

ألومه. (أَكْرَهُ الكُفْرَ) أي أن أقع في أسباب كفران العشير، من سُوء العشرة مع الزوج ونقصانه حقه.

اهتمام الإسلام بتعليم المرأة

إن من تكريم الإسلام للمرأة المسلمة أن جعل التعلم والتعليم حقًا للرجل والمرأة على السواء، ولم يخص بها الرجال دون النساء.

قال تعالى: «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» [المجادلة:١١].

وقال سبحانه: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ» [الزمر:٩].

روى مسلمٌ عن أبي هريرة أن النبيﷺ قال: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ. [مسلم حديث ٢٦٩٩].

روى البخاريُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ.» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: «وَاثْنَتَيْنِ» [البخاري حديث: ١٠١].

روى الترمذيُّ عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» [صحيح الترمذي للألباني حديث ٢١٥٩].

هذه النصوص وغيرها كلها شاملة للرجل والمرأة على السواء، وهكذا كان نساء الجيل الأول من الصحابة، فهذه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تضرب أروع الأمثلة لطالبات العلم والمتسابقات فيه، حتى إنها أكثر الصحابة رضي الله عنهم رواية للحديث، ومرجعاً لهم في كثير من المسائل، واستدركت على بعض الصحابة في بعض الأحكام.

روى الترمذيُّ عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري قَالَ: مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا. [صحيح سنن الترمذي للألباني حديث ٣٠٤٤].

وروى ابنُ أبي شيبة عَنْ عروة بن الزبير، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِفَرِيضَةٍ (علم المواريث)، وَلَا أَعْلَمَ بِفِقْهٍ وَلَا بِشِعْرٍ: مِنْ عَائِشَةَ. [مصنف ابن أبي شيبة جـ ١٠/صـ ٢٤٨].

نبينا ﷺ يوصي بالنساء خيراً

روى مسلمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ r، قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ. [مسلم حديث: ١٢١٨].

روى الترمذيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ.» [صحيح سنن الترمذي للألباني حديث ٩٢٨].

الإسلام يُحرم قتل النساء في الحروب

روى الشيخانِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، «فَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ» [البخاري حديث: ٣٠١٥/مسلم حديث: ١٧٤٤].

الإسلام يحترم رأي المرأة

روى البخاريُّ عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ (لَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ كتابة صلح الحديبية مع سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا»، قَالَ: فَوَاللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا. [البخاري حديث: ٢٧٣١].

انظر، أخي المسلم الكريم، كيف احترم ﷺ رأي أم سلمة وعمل به، فكان خيراً وبركة على المسلمين.

قبول شفاعة المرأة

احترم الإسلامُ المرأةَ وأعطى لها حق حماية الرجل الكافر، وضمان الأمان له، فإذا أجارت المرأةُ المسلمة أحداً، وجب على المسلمين احترام عهدها.

أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ تجير رجلاً من المشركين:

روى الشيخان عَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ قَالَتْ:ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟»، فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ»، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ ابْنُ أُمِّي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلًا قَدْ أَجَرْتُهُ فُلَانُ بْنُ هُبَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ»، قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ: وَذَلِكَ ضُحًى. [البخاري حديث: ٣١٧١/ مسلم حديث:٣٣٦].

المرأة المسلمة صانعة الأبطال

تُماضر بنت عمرو السلمية (الخنساء)

شَهِدَتْ الْخَنْسَاءُ حَرْبَ الْقَادِسِيَّةِ، وَمَعَهَا أَرْبَعَةُ بَنِينَ لَهَا فَقَالَتْ لَهُمْ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكُمْ أَسْلَمْتُمْ طَائِعِينَ، وَهَاجَرْتُمْ مُخْتَارِينَ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَبَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ، كَمَا أَنَّكُمْ بَنُو امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، مَا خُنْتُ أَبَاكُمْ، وَلَا فَضَحْتُ خَالَكُمْ، وَلَا هَجَّنْتُ حَسَبَكُمْ، وَلَا غَيَّرْتُ نَسَبَكُمْ، وَقَدْ تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ فِي حَرْبِ الْكَافِرِينَ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الدَّارَ الْبَاقِيَةَ خَيْرٌ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾» [آل عمران: ٢٠٠].

فَإِذَا أَصْبَحْتُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَالِمِينَ، فَاغْدُوا إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ مُسْتَبْصِرِينَ، وَبِاللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِ مُسْتَنْصِرِينَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ الْحَرْبَ قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا، وَاضْطَرَمَتْ لَظَى عَلَى سِيَاقِهَا، وَجَلَّلَتْ نَارًا عَلَى أَرْوَاقِهَا، فَتَيَمَّمُوا وَطِيسَهَا، وَجَالِدُوا رَئِيسَهَا عِنْدَ احْتِدَامِ خَمِيسِهَا(جيشها)، تَظْفَرُوا بِالْغُنْمِ، وَالْكَرَامَةِ فِي دَارِ الْخُلْدِ وَالْمُقَامَةِ، فَلَمَّا كَانَ الْقِتَالُ فِي الْغَدِ كَانَ يَهْجُمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَيَقُولُ شِعْرًا يَذْكُرُ فِيهِ وَصِيَّةَ الْعَجُوزِ وَيُقَاتِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، فَلَمَّا بَلَغَهَا خَبَرُ قَتْلِهِمْ كُلِّهِمْ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ، وَأَرْجُو رَبِّي أَنْ يَجْمَعَنِي بِهِمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ.وكان عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُعطي الخنساء بنت عمرو خراج أولادها الأربعة حتى مات. [صفة الصفوة لابن الجوزي جـ٤ صـ٣٨٥: صـ٣٨٧]

المرأة المسلمة مربية العلماء

(١) أم سفيان الثوري: قال وكيع بن الجراح:

قالت أم سفيان الثوري لسفيان: يا بُني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي. وقالت: يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في مشيك وحلمك ووقارك فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك. [صفة الصفوة لابن الجوزي جـ٣ صـ١٨٩].

(٢) أم محمد بن إدريس الشافعي:

وُلد الإمام الشافعي بغزة ومات أبوه إدريس شاباً فنشأ الشافعي يتيماً في حجر أمه فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وحفظ موطأ الإمام مالك، وهو ابن عشر سنين وطلب العلم حتى أصبح مذهبه أحد المذاهب الأربعة المشهورة. [سير أعلام النبلاء للذهبي جـ١٢ صـ٦: ١١].

(٣) أم أحمد بن حنبل:

كان والد أحمد بن حنبل من أجناد مَرو، مات شاباً وله نحو من ثلاثين سنة، فقامت أم أحمد على تربيته وحثته على حفظ القرآن وطلب الحديث، فطلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان عدد شيوخه الذين روى عنهم في المسند أكثر من مائتين وثمانين شيخاً. روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنَّسائي. والإمام أحمد صاحب أحد المذاهب الأربعة المشهورة. [سير أعلام النبلاء للذهبي جـ١١ صـ١٧٧: ١٨٣].

(٤) أم محمد بن إسماعيل البخاري:

مات والد البخاري وهو صغير فنشأ في حجر أمه وفَقَد بصره وهو صغير، فرأت أمه الخليل إبراهيم ﷺ في المنام يخبرها بأن الله تعالى رد على البخاري بصره لكثرة دعائها له، فاهتمت به أمه اهتماماً كبيراً، وألهمه الله تعالى حفظ الحديث وعمره عشر سنوات، ولما بلغ السادسة عشرة خرج حاجاً مع أمه وأخيه، وبعد أداء الحج تخلَّف بمكة في طلب الحديث، وفي سن الثامنة عشرة صنف في قضايا الصحابة والتابعين وأقوالهم وكان للبخاري أكثر من ألف شيخ وجمع كتابه الصحيح من ستمائة ألف حديث مسموعة. [سير أعلام النبلاء للذهبي جـ١٢ صـ٣٩١: ٤١٥].

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله رَبِّ العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

صِفَةُ الإمام العَادل

إعداد / عبده أحمد الأقرع

الحمد لله يمنُّ بالفضل بالحقِّ، ويحكمُ بالعدل، وأصلي وأسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم المبعوث للأحمر والأسود، هدى بإذن ربه إلى أقوم طريق وأعدل سبيل، وعلى آله وأصحابه الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أما بعدُ:

فعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا: «اللهم مَنْ وليَ من أمر أمتي شيئًا فشقَّ عليهم فاشقق عليه، ومن وليَ من أمر أمتي شيئًا فرفقَ بهم فارفق به». [مسلم: ٨٢٨١- باب فضيلة الإمام العادل].

وهذا دعاء من النبيِّ صلى الله عليه وسلم على من تولى أمور المسلمين الخاصة والعامة.

و«شيئًا» نكرة في سياق الشرط، وقد ذكر علماء الأصول أنَّ النكرة في سياق الشرط تفيد العموم. أي شيء يكون.

«فرفق بهم فارفق به». وليس معنى الرفق أن يأتي للناس على ما يشتهون ويريدون، بل الرفق أن يسير بالناس حسب أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويسلك أقرب الطرق بالناس ولا يشق عليهم في شيء ليس عليه أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله مغلولاً يوم القيامة يده إلى عنقه، فكَّه برُّه، أو أوثقه إثمه، أوَّلها ملامةٌ، وأوسطها ندامةٌ، وآخرها خزيٌ يوم القيامة». [صحيح الجامع: ٨١٧٥].

فالعدل دعامة بقاء الأمم، ومستقرُّ أساسات الدول، وباسطُ ظلال الأمن، ورافع أبنية العزِّ والمجد، ولا يكون شيءٌ من ذلك بدونه. وبالتالي - فإليكم إخواني - صفة الإمام العادل:

كتب عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - لمَّا وَليَ الخلافة إلى الحسن البصري ليخبره عن صفة الإمام العادل. فكتب إليه الحسن:

اعلم يا أمير المؤمنين أنَّ الله جعل الإمام العادل قوّام كُل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف، والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرَّفيق بها الذي يرتادُ لها أطيب المرعى، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها عن السِّباع، ويُكنُّها عن أذى الحرِّ والقرِّ.

والإمام العادل: كالأمِّ الشَّفيقةُ البَّرة الرَّقيقة بولدها حملتْهُ كُرهًا ووضعته كرهًا، وربته طفلاً، تسهر بسهره وتسكن بسكونه، تُرضعُهُ تارةً وتفطمهُ أخرى، وتفرحُ بعافيته، وتغمُّ بشكايته.

والإمامُ العادل: وصيُّ اليتامى وخازنُ المساكين يُربِّي صغيرهم ويمونُ كبيرهم.

والإمامُ العادل: كالقلب بين الجوارح تصلحُ الجوارحُ بصلاحه وتفسُد بفساده.

والإمامُ العادل: هو القائم بين الله وبين عباده يسمعُ كلام الله ويُسمعهم،

وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكنْ يا أمير المؤمنين فيما ملّكك الله عز وجل كعبدٍ ائتمنه سيدهُ واستحفظهُ ماله وعياله فبدّد المالَ وشرّد العيال، فأفقرَ أهلهُ وفرّق ماله.

واعلم أنّ الله أنزل الحدودَ ليزجر بها عن الخبائثِ والفواحش، فكيف إذا أتاها من يليها؟! وإنّ الله أنزل القصاص حياةً لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم؟!

واذكر الموتَ وما بعده وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم أنّ لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه يطول فيه ثَواؤك، ويفارقُك أحبّاؤك، يسلمونك في قعره وحيدًا فريدًا فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، واذكر إذا بُعثر ما في القبور وحُصل ما في الصدور، فالأسرار ظاهرة، والكتابُ لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها.

فالآن وأنتَ في مهلٍ قبل حُلول الأجل وانقطاع الأمل لا تحكمُ في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيلَ الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة فتبوءَ بأوزارك وتحملَ أثقالك وأثقالاً مع أثقالك.

ولا يغرنك الذين يتنعمون في بؤسك ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيّباتك في آخرتك، ولا تنظرْ إلى قُدرتك اليوم، ولكنْ انظر إلى قدرتك غدًا وأنت مأسورٌ في حبائل الموتِ وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحيِّ القيوم.. اهـ. [موارد الظمآن(٢/٨٤٦)].

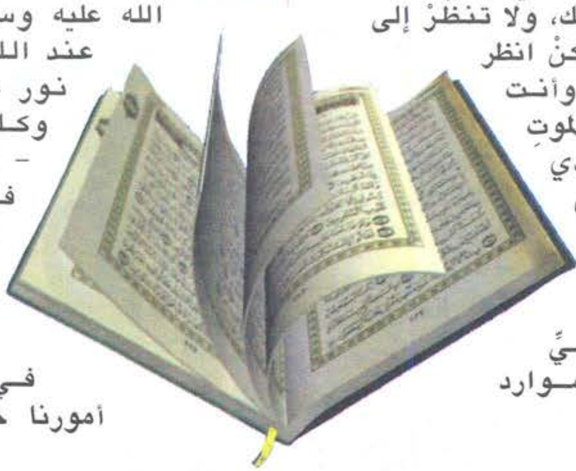
هذا هو العدل العالميُّ: وإنَّ أمة الإسلام هي أمةُ الحق والعدل، والخير والوسط، نصبها ربُّها قوامةً على الأمم في الدنيا، شاهدةً عليهم في الأخرى، خيرُ أمة أخرجت للناس، يهدون بالحق وبه يعدلون، يتواصون بالحقِّ وبالصبر، ويتنافسون في ميادين الخير والبرِّ، ويتسابقون إلى موجبات الرَّحمةِ والأجر.

عدل الإسلام يسعُ الأصدقاءَ والأعداءَ، والأقرباءَ والغرباء، والأقوياءَ والضعفاءَ، والمرؤوسين والرؤساء، عدلُ الإسلامِ ينتظم كلَ ميادين الحياة، عدلٌ في حق الله، وعدلٌ في حقوق العبادِ في الأبدانِ والأموال، والأقوالِ والأعمال، عدلٌ في العطاء والمنع: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته» متفق عليه.

فالمسئوليات والمهماتُ تكليف قبل أنْ تكون تشريفًا، وتبعات لا شهوات، ومغارمَ لا مغانم، وجهاد لا إخلادًا، وتضحية لا تحليةً، وميدان لا ديوانًا، وأعمال لا أقوالاً، وإيثارٌ لا استئثارًا، إنصافٌ للمظلوم، ونصرةٌ للمهضوم، وقهرٌ للغشوم، وردعٌ للظلوم، ورفعُ المظالم عن كواهل المروحة أكبادُهم، وردُ الاعتبار لمن أذلهم البغي اللئيم، لا تأخذهم في الحق لومة لائم، ولا تعويق واهم.

«وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ» [الشورى:٥١]، قال صلى الله عليه وسلم: «إنَّ المقسطين عند الله على منابرَ من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمينٌ - الذين يعدلون في حكمهم وفي أهليهم وما وُلُّوا». [مسلم: ٨٥٤١/٣].

اللهم آمنا في أوطاننا، وول أمورنا خيارنا.



واحة التوحيد

من هدي رسول الله ﷺ

جزاء الحاكم العادل

عن زهير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن المقسطين عند الله، على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل. وكلتا يديه يمين؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» [صحيح مسلم]

من نور كتاب الله

أسباب نجاح الحاكم المسلم

قال تعالى: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾» [آل عمران: ١٥٩].

حكم ومواعظ

عن الحسن قال: تكلموا عند معاوية، والأحنف ساكت، فقال له معاوية: ما لك لا تتكلم؟ فقال: «أخاف الله إن كذبت، وأخافكم إن صدقت».

قال قثم العابد: ما قلَّ طُعْمُ امرئ قط إلا رقَّ قلبه، ونديت عيناه. [الزهد لهناد].

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن شكل بن حميد قال: قلت: يا رسول الله! علمني دعاء أنتفع به. قال: «قل: اللهم عافني من شر سمعي، وبصري، ولساني، وقلبي، وشر منيي». قال وكيع: «منيي» يعني: الزنا والفجور. [النسائي ٧٤٥١ وصححه الألباني]

تأويلات فاسدة

قال تعالى: «وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾» [الرحمن: ٢٧] قالوا: أي ويبقى ربك، فينفون بهذا التأويل الفاسد صفة الوجه لله عز وجل، ولقد أثبت القرآن الكريم والسنة الصحيحة صفة الوجه لله، ولا يعني إثبات صفة الوجه لله أن وجه الله يشبه وجوه المخلوقين، قال تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١]. [الورع للمروزي].

إعداد: علاء خضر

من دلائل نبوته ﷺ

إخباره عن فتح الشام واليمن والعراق

عن سفيان بن أبي زهير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تفتح الشام، فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم تفتح اليمن فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم تفتح العراق، فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» [صحيح مسلم ١٣٨٨]. [وقال ابن عبد البر: وقيل معنى يبسون يسألون عن البلاد ويستقرئون أخبارها ليسيروا إليها].

من فضائل الصحابة

دعاؤه ﷺ لمعاوية بن أبي سفيان

عن العرباض بن سارية السلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعونا إلى السحور في شهر رمضان قال: «هلموا إلى الغداء المبارك» ثم سمعته يقول: «اللهم علِّم معاوية الكتاب والحساب، وقِهِ العذاب» [صحيح ابن خزيمة ١٩٣٨ وفي سنده مقال].

العالم الصادق

قيل لأبي عبد الله: سئل ابن المبارك: كيف يُعرف العالم الصادق؟ فقال: الذي يزهد في الدنيا، ويقبل على أمر آخرته. فقال أبو عبد الله: نعم هكذا يريد أن يكون. [الورع للمروزي].

من أقوال السلف

عن عمر رضي الله عنه قال: «ما حرص رجل على الإمارة كل الحرص فعدَل فيها».

عن عبد الله قال: «إذا التُمسَت الدنيا بعمل الآخرة، وتُفُقِّه لغير الدين، ظهرت البدع». [البدع ابن وضاح].

من غريب الحديث

خداج: قال أبو عبيد: في حديثه عليه السلام: كل صلاة ليست فيها قراءة (أي قراءة الفاتحة في الصلاة) فهي خداج. قال الأصمعي: الخداج النقصان، مثل خداج الناقة إذا ولدت ولدًا ناقص الخلق أو لغير تمام. [غريب الحديث لأبي عبيدة]

أثر السياق في فهم النص

طرق معرفة المقاصد

الحلقة (٣٧)

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

الطرق التي يُتوصل بها إلى معرفة المقاصد:

أولاً: الأوامر والنواهي:

وهنا قيدان للأوامر والنهي:

أ- أن يكون الأمر أو النهي أصليًا وليس تابعًا: بمعنى أن يكون الأمر أو النهي مقصودًا بالأصالة، ولم يؤت به تعضيدًا لأمر أو نهي آخر، أو بعبارة أخرى: يكون الأمر أو النهي مقصودًا «بالمقصد الأول» لا «بالمقصد الثاني».

مثال ذلك: قوله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ » [سورة الجمعة : ٩].

الآية بها أمران: الأمر الأول: (فاسعوا إلى ذكر الله).

الأمر الثاني: (وذروا البيع)

فالأمر الأول أمرٍ ابتدائي مقصود بالقصد الأول: فهو دال على قصد الشارع إلى حمل الناس على تحقيق المأمور، وهو إقامة صلاة الجمعة.

بينما الأمر الثاني: هو أمر تبعي، قُصد به تعضيد الأمر الأول، فهو مقصود بالقصد الثاني، فلا يصح أن يُستدل به على قصد الشارع إلى منع البيع، بخلاف الأمر الأول، وهو السعي إلى ذكر الله، فيعبر عن قصد الشارع ويدل عليه.

ب- القيد الثاني: أن يكون الأمر أو النهي صراحة لا ضمنًا، أن يكون من المقاصد لا من الوسائل، مثال ذلك: الأمر بالحج، فهو صريح، بينما السعي إليه، أمر ضمني (تبعي).

وهذا يتضح في قاعدة: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ومعناها: أن الواجب إذا توقف وجوده على شيء، فإن الأمر يشمل هذا الشيء أيضًا، كالطهارة، فإن الأمر بالصلاة يشملها.

وليس معنى ذلك أن الطهارة هنا لم تأت بدليل مستقل، فهي مأمور بها في القرآن والسنة، لكن الأمر بها تبع للأمر بالصلاة، فالأمر بالصلاة هو الأمر الأصلي، بينما الطهارة وسيلة لها.

وأعم من هذه القاعدة، قاعدة «الوسائل لها أحكام المقاصد».

يقول ابن القيم: «لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب

وطرق تُفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعةً لها معتبرةً بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غايتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود، وكلاهما مقصود، لكنه مقصود قصد الغايات، وهي مقصودة قصد الوسائل». [إعلام الموقعين ١٣٥/٣].

يقول الشيخ السعدي: «الوسائل لها أحكام المقاصد، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما لا يتم المسنون إلا به فهو مسنون، وطرق الحرام والمكروهات تابعة لها، ووسيلة المباح مباحة، ويتفرع عليها: أن توابع الأعمال ومكملاتها تابعة لها».

وهذا أصل عظيم....

ومعنى الوسائل: الطريق التي يتوصل بها إلى الشيء، والأمور التي تتوقف الأحكام عليها من لوازم وشروط، فإذا أمر الله ورسوله بشيء، كان أمرًا به، وبما لا يتم إلا به، وكان أمرًا بجميع شروطه الشرعية والعادية والمعنوية والحسية، فإن الذي شرّع الأحكام عليم حكيم، يعلم ما يترتب على ما حكم به على عباده من لوازم وشروط ومتممات.

فالأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به، والنهي عن الشيء نهي عنه، وعن كل ما يؤدي إليه، فالذهاب والمشي إلى الصلاة ومجالس الذكر، وصلة الرحم، وعيادة المرضى، واتباع الجنائز، وغير ذلك من العبادات داخل في العبادة، وكذلك الخروج إلى الحج والعمرة والجهاد في سبيل الله من حين يخرج وذهب من محله إلى أن يرجع إلى مقره، وهو في عبادة؛ لأنها وسائل للعبادة ومتممات لها.

قال تعالى: « ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ » [سورة التوبة آية: ١٢١]. [انظر القواعد والأصول الجامعة للسعدي ١١/١٠].

[فائدة: لا بد من التفريق بين ما لا يتم الواجب إلا به، وهي الوسائل، وبين ما لا يتم الوجوب إلا به، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وقد سبق بيانه].

أما ما لا يتم الوجوب إلا به فهو غير واجب، ومثاله: أن الاستطاعة شرط في وجوب الحج، وملك النصاب شرط في وجوب الزكاة، لأن وجوب الحج لا يتم إلا بالاستطاعة، ووجوب الزكاة لا يتم إلا بملك النصاب، ولا يجب على العبد تحصيل الاستطاعة، ولا ملك النصاب، فما لا يتم الواجب إلا به (الوسائل) يتوقف عليه إيقاع الواجب، وما لا يتم الوجوب إلا به يتوقف عليه وجوب الواجب. [انظر مجموع الفتاوى ١٦٠/٢٠، معالم أصول الفقه للجيزاني ٢٩٧/١، ٢٩٨].

وما لا يتم الواجب إلا به نوعان:

النوع الأول: أن يكون مأمورًا به شرعًا، كالسعي إلى الجمعة، « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ » [سورة الجمعة آية: ٩].

وكالطهارة للصلاة، في قوله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ » [سورة المائدة آية: ٦].

فما لا يتم الواجب إلا به في الآيتين، وهي السعي والطهارة، اجتمع عليه دليلان: الأول: النص القرآني. والثاني: قاعدة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ومن ذلك إقامة الحدود بأنواعها - فهي مأمور بها شرعًا - فإنها وسيلة لحفظ الضرورات الخمس، فلا يتحقق حفظ النفس إلا بالقصاص، فصار واجبًا، لأنه وسيلة الواجب.

ولا يتحقق حفظ الأعراض إلا بإقامة حد القذف وحد الزنا، معنى واجبًا؛ لأنه وسيلة إلى واجب، ولا يتحقق حفظ الأمن واستقرار الناس إلا بإقامة حد قطاع الطرق والبغاة، ولا يتحقق حفظ العقول إلا بإقامة حد الخمر، ولا حفظ الأموال إلا بإقامة حد السرقة، وهكذا، فصارت إقامة هذه الحدود من باب الواجبات؛ لأنها وسائل إلى الواجب، والوسائل لها أحكام المقاصد.

النوع الثاني: أن يكون مباحًا لم يرد فيه أمر مستقل من الشارع، كإفراز المال لإخراج الزكاة، فهذا ليس بواجب قصدًا، إنما وجب بقاعدة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وعلى هذا النوع تنطبق القاعدة القائلة: يجب التوصل إلى الواجب بما ليس بواجب،

وهي لا تنطبق على النوع الأول.

وبناءً على ذلك نستطيع أن نقول: إن المباح قد يكون واجبًا إذا كان الواجب لا يتم إلا به، ومن ذلك الأكل من الميتة للمضطر لإحياء نفسه، فإن الأكل واجب يأثم بتركه، مع أن الأكل في أصله مباح، لكنه لما كان في هذه الحالة وسيلة للواجب، الذي هو إحياء النفس، صار واجبًا، وقد يبقى المباح على حاله الأصلي من جواز الفعل والترك، إذا لم يكن وسيلة إلى أمر آخر.

وقد يكون المباح مندوبًا، وقد يكون مكروهًا، وقد يكون حرامًا، ومن ذلك شراء السلاح: الأصل فيه الإباحة، لكن يحرم بيعه في الفتنة؛ لأنه حينئذٍ سيكون ذريعة لقتل المسلمين بعضهم بعضًا.

وقس على ذلك جميع المباحات إذا جُعلت وسائل يتوصل بها إلى المحرمات (المنهيات)، كشراء الكوب ليشرب فيه خمرًا، والسفر لبلد لمواقعة الفواحش، والمشي إلى مواضع المنكرات وغيرها، كل ذلك يكون حرامًا؛ لأنه صار وسيلة لمنهي عنه، وذلك حسب تعلقه بغيره. [انظر مجموع الفتاوى ١٠/٥٣٣، ومعالم أصول الفقه ٢٩٩/١].

- وكذلك فإن النهي عن الشيء نهي عما لا يتم اجتنابه إلا به.

مثال ذلك: إذا اختلطت الميتة بالمذكاة، فإن الكل يحرم تناوله، الميتة بعلة الموت، والمذكاة بعلة الاشتباه.

إذ الواجب الكفُّ عن الميتة فقط، وذلك لا يتم إلا بالكفِّ عن الاثنين معًا بسبب الاشتباه (السابق).

وبذلك يتبين أن ما لا يتم الواجب إلا به، قد يكون فعلاً كالطهارة للصلاة، وقد يكون كفًا وتركًا، كترك أكل المذكاة في المثال السابق.

مع ملاحظة أن النهي فرع من الأمر؛ إذ إن الأمر هو الطلب، والطلب قد يكون للفعل أو للترك.

يقول شيخ الإسلام: «... الأمر أصل والنهي فرع، فإن النهي نوع من الأمر؛ إذ الأمر هو الطلب والاستدعاء والاقتضاء، وهذا يدخل فيه طلب الفعل وطلب الترك، لكن خُصَّ النهي باسم خاص». [الفتاوى ٢٠/١١٩].

تنبيه: هل الغاية تبرر الوسيلة؟

أي أن سلامة المقصد يعطي الوسيلة المحرمة شرعية وجوازًا، بالطبع لا، إلا إذا دلَّ الدليل على ذلك، فلا يجوز للإنسان أن يحتج بشرعية الوسيلة المحرمة بمجرد سلامة مقصدها، كأن ينظر رجل للنساء الأجانب عنه، ويقول: أنا أنظر لهن حتى أتفكر في خلق الله كما أمرني ربي بذلك، فنقول: نعم، غايتك سليمة، فإن التفكر في مخلوقات الله يدلك على عظم خلق الله تعالى من المقاصد السليمة المشروعة، لكن أنت اتخذت لذلك وسيلة محرمة، ومجرد سلامة المقصد لا يعطي الوسيلة المحرمة حكمًا جديدًا بجوازها، لأن الغاية لا تبرر الوسيلة.

فلا بد من سلامة المقاصد وشرعية الوسائل.

إلا ما كان مخصوصًا بمفرده بدليل ويخرج من هذا العموم، كالكذب - وهو حرام - لإصلاح ذات البين أو لإنقاذ نفس معصومة، أو الكذب على الأهل أو في الحرب. [ومن أهل العلم من حمل الكذب هنا على التعريض لا حقيقة الكذب].

فالمقاصد هنا بررت الوسائل، وهذا على خلاف الأصل، وروعي فيه المصلحة الغالبة.

ثانيًا: اعتبار علل الأمر والنهي:

يعني ما علة هذا الأمر، وعلة هذا النهي، والعلة إما أن تكون معلومة أو لا، فإن كانت معلومة اتُبعت، فحيث وُجدت وُجد مقتضى الأمر والنهي من القصد، أو عدمه، كالنكاح لمصلحة التناسل، والبيع لمصلحة الانتفاع بالمعقود عليه، والحدود لمصلحة الازدجار - والعلة لها مسالك معلومة في باب القياس من أصول الفقه - فإذا تعينت، عُلم أن مقصود الشارع ما اقتضته تلك العلل من الفعل أو عدمه، وإن كانت غير معلومة، فلا بد من التوقف عن القطع على الشارع أنه قصد كذا وكذا..

إلا أن التوقف هنا له وجهان من النظر: أحدهما: ألا يتعدى المنصوص عليه في ذلك الحكم المعين، أو السبب المعين، لأن تعدية الحكم مع الجهل بعلته تحكُّم من غير دليل، وضلال على غير سبيل...

الثاني: أن الأصل في الأحكام الموضوعة شرعًا أن لا يتعدَّى بها محالها حتى يعرف قصد الشارع لذلك التعدّي، إذ لو كان الحكم متعديًا لغيره لنصب عليه الدليل.. فصحَّ أن التعدّي لغير المنصوص عليه غير مقصود للشارع.

وينبغي أن نعلم من مقصد الشارع التفرقة بين

العبادات والعادات، وأنه غلَب في باب العبادات جهة التعبد، وفي باب العادات جهة الالتفات إلى المعاني، والعكس في البابين قليل.

لذا قيل في العادات بقاعدة المصالح المرسلة، والاستحسان وغيرهما. [انظر الموافقات ٣/١٣٥-١٣٩].

يقول ابن العربي المالكي: «الغالب في أحكام الشرع اتساقها في نظامِ التعليل إلا نُبَذاً شذَّت، لا يمكن فيها إلا رسم اتّباع دون أن يعقل شيء من معناها، ولكن فرض المجتهد إذا جاء حكم وعرضت نازلة أن يلحظ سبيل التعليل».

ثم قال: ونحن نضرب لك في ذلك ثلاثة أمثلة، تتخذونها دستورًا:

المثال الأول: العبادات، وهي نوع لا يجري فيها تعليل بحال لأن يعقل معناها، بلى إن قياس الشبه يدخلها، كقول علمائنا - رحمة الله عليهم - في الوضوء: عبادة، فافتقرت إلى النية كالصلاة، وكقولهم: إن القيم في الزكاة لا تجوز لأنها عبادة، فاقتصرت مورد الأمر، دون التعليل، كالوضوء، وأمثال ذلك كثيرة.

المثال الثاني: ما يجري فيه التعليل قطعًا، كالبيوع والأنكحة والقصاص والشهادات والوكالات، وأمثال ذلك من المعاملات، فهذا كله يجري مجرى التعليل، ويلحق فيه الفروع بالأصول.

المثال الثالث: مختلف فيه:

وهو تعليل أصل بأصل، كتعليل النكاح بالبيوع، فهذا اختلف فيه العلماء، فرأى بعضهم أنه لا يجري فيه التعليل كالشافعي، ورأى آخرون كمالك وأبي حنيفة أنهما يشتركان في التعليل، قال مالك: النكاح أشبه شيء بالبيوع.

يقول ابن القيم: «غالب أحكام الشريعة معللة برعاية المصالح المعلومة، والخصم إنما بين خلاف ذلك في صور قليلة جدًا، وورود الصورة النادرة على خلاف الغالب لا يقدح في حصول الظن». [إعلام الموقعين ٢/٧٥].

وقال أيضا: والقرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مملوآن من تعليل الأحكام بالحكم والمصالح، وتعليل الخلق بهما، والتنبيه على وجوه الحكم التي لأجلها شرع تلك الأحكام، ولأجلها خلَق تلك الأعيان، ولو كان هذا في القرآن والسنة نحو مائة موضع أو مائتين، لسقناها، ولكن يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة. [مفتاح دار السعادة ٢/٢٢].

ودلالة نصوص الكتاب والسنة على تعليل الأحكام أكثر من أن تُحصى، والمتتبع لنصوص الشريعة يدرك أنها إنما وُضعت لمصالح العباد في العاجل والآجل معًا.

لأنه لما كانت النصوص الشرعية متناهية، وتفاصيل الوقائع والأحداث متجددة على الدوام لا تقف عند حد، جعل الشارع شرعه قواعد عامة، إما باعتبار ألفاظها، أو باعتبار عللها، وجعل في الأمة علماء يستخرجون حكم الله في كل واقعة حدثت، مثل أحكام الوقائع المنصوصة في تحصيل المصالح. [انظر سلم الوصول ٤/٥٧].

يقول الشاطبي: والمعتمد إنما هو أنّا استقرينا من الشريعة أنها إنما وُضعت لمصالح العباد استقراءً لا ينازع فيه الرأي ولا غيره، فإن الله تعالى يقول في بعثة الرسل، وهو الأصل: «رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» [النساء:١٦٥]، ويقول: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾» [الأنبياء:١٠٧].

وقال في أصل الخلقة: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» [هود:٧].

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾» [الذاريات:٥٦]، «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» [الملك:٢].

وأما التعليل لتفاصيل الأحكام في الكتاب والسنة، فأكثر من أن يُحصى، كقوله بعد آية الوضوء: «مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ» [المائدة:٦].

وقال في الصيام: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [البقرة:١٨٣].

وفي الصلاة: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ» [العنكبوت:٤٥]. وهكذا... فنحن نقطع بأن الأمر مستمر في جميع تفاصيل الشريعة، ومن هذه الجملة ثبت القياس والاجتهاد. [انظر الموافقات ٢/١٣].

وقال شيخ الإسلام: «أئمة الفقه متفقون على إثبات الحكمة والمصالح في أحكام الشريعة». [منهاج السنة ١/٩٥].

وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.

الرد على فرية تقديم العقل على النقل

((لا.. يا فضيلة شيخ الأزهر.. بل النقل حاكم وقاضٍ ومُقدَّم على العقل))

إعداد / أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم رسل الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.. وبعد:

فقد صُدم المتمسكون بأهداب الكتاب والسنة من أهل الإسلام، بما يعارض إسلامهم ويناقض ما جُبلوا عليه وعلموه وتعلموه، من عدم التقديم بين يدي الله ورسوله، ومن استحالة تعارض صريح العقل مع صحيح النقل، وعلى التنزُّل والافتراض: فبعدم تقديم العقل على النص بتأويل الأخير ومن ثم إهماله وعدم إعماله.. صدم الجميع بما يعارض هذه الثوابت فيما بات يعرف بـ (وثيقة الحريات) التي يشرف عليها شيخ الأزهر بنفسه والتي عكف على إعدادها، وبصحبته كوكبة من علماء الأزهر.

ففي صوت الأزهر ص ٥ عدد ٦٤٢ بتاريخ ١٩ صفر ١٤٣٣هـ الموافق ١٣/ ١/ ٢٠١٢م فوجئتُ كما فوجئ غيري بفضيلة شيخ الأزهر د. أحمد الطيب، يشير في صيغة هذه الوثيقة النهائية إلى سماحة الإسلام وسعة صدره في استيعاب الآخرين، ومواكبة مستجدات العصر، ويشيد فيما يشيد بعلمائنا القدامى، مبرراً ذلك بأنهم «تركوا لنا قاعدتهم الذهبية التي تقرر أنه: (إذا تعارض العقل والنقل، قدِّم العقل وأوِّل النقل) تغليباً للمصلحة المعتبرة وإعمالاً لمقاصد الشريعة».. وهذا أمر فيه مغالطة، كما أنه من الخطورة بمكان.. ويرد عليه من عدة أوجه:

١- أن العقل السليم لا يمكن بحال أن يصطدم أو يتعارض مع ما جاء به النقل الصحيح، بل إن العقل يشهد له ويؤيده لسبب بسيط ومنطقي يتمثل في: أن الذي خلق العقل وهو الله تعالى، هو الذي أرسل إليه النقل وجعله صالحاً له في كل زمان ومكان.. ولأن الإنسان صنعة خالقه، كان هو سبحانه أعلم بصنعته وبما يصلحه في كل زمان ومكان، فإذا وَضع رب العباد نظاماً فبالغ حكمته وعلمه ولصلاح صنعته «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾» [الملك: ١٤].

وإذا ألزم عباده بمنهجه وشرعته، كان من المحال أن يضلوا أو يشقوا، أو يعيشوا تحت مظلته معيشة ضنكاً، وإنما الأمر كما قال جلت حكمته: «فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾» [طه: ١٢٣، ١٢٤].. ومعلوم بالضرورة أن أولى من يضع نظام التشغيل للمصنوعات - ولله المثل الأعلى - هو صانعها.

ومن هنا ساغ لشيخ الإسلام أن يضع قاعدته الذهبية بحق والتي فيها يقول: «كل ما يدل عليه الكتاب والسنة، فإنه موافق لصريح المعقول، والعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، ولكن كثيراً من الناس يغلطون إما في هذا وإما في هذا، فمن عرف قول الرسول ﷺ ومراده به، كان عارفاً بالأدلة الشرعية، وليس من المعقول ما يخالف المنقول» [مجموع الفتاوى ١٢/ ٨١]..

ويقول: «من قال بموجب نصوص القرآن والسنة، أمكنه أن يناظر الفلاسفة مناظرة عقلية يقطعهم بها، ويتبين له أن العقل الصريح مطابق للسمع الصحيح» [مجموع الفتاوى ٦/ ٥٢٥، وينظر مختصر الصواعق ص ٨٧].

وهذا عينه ما سلكه الإمام أبو الحسن الأشعري عندما ترك سبيل المعتزلة والمتكلمة من الخَلَف، ونهج نهج سلف الأمة، وعلى رأسهم الإمام المبجل أحمد بن حنبل، وكان منه ما كان من تأليفه كتب: (الإبانة) و(مقالات الإسلاميين) و(رسالة إلى أهل الثغر)، تلك الكتب التي دحض من خلالها بالحجة والبرهان وأدلة العقل قبل النقل، كل طريق يخالف طريق النبي ﷺ وصحابته وتابعيهم بإحسان.

٢- أنه لو حدث تعارض بين العقل والنقل، فإن ذلك مرجعه لأحد سببين لا ثالث لهما: إما أن النقل لم يثبت فيَنسب مدعي التعارض إلى دين الله ما ليس منه، كالذين يتمسكون بأحاديث ضعيفة أو موضوعة، وينقلونها للناس دون تمحيص، وإما أن العقل لم يفهم النقل ولم يدرك مراد الله ولا خطاب رسوله ﷺ منه على النحو الصحيح، كما شكك بعض المستشرقين في حديث الذبابة، وحديث ولوغ الكلب في الإناء، وأحاديث الشفاعة، وغيرها، قال شيخ الإسلام: «وما أثبته السمع الصحيح لم ينفه عقل صريح، وحينئذ فلا يجوز أن يتعارض العقل الصريح والسمع الصحيح، وإنما يَظن تعارضَهما من غلط في مدلولهما أو مدلول أحدهما» [درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٩].

٣- أن من رسخ القاعدة الصحيحة القاضية بـ (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول)، إنما بناها على أصل وأساس صحيحين، وهو وجوب إعمال العقل والفكر فيما يؤدي إلى إظهار الدين والعمل بمقتضى النقل، والرد على المخالفين للكتاب والسنة.. وكان يمكن قبول كلام شيوخ الأشاعرة عندما عوَّلوا كثيراً على طريق العقل باعتبار أن الاقتصار على الدلائل النقلية لأهم أصول العقيدة الإسلامية مثل إثبات وجوده تعالى وصفاته، مستلزم للدَّوْر المحال؛ لأن ثبوت النقل في هذه الأصول متوقف على ثبوت الوحي، وما كان ثبوت الوحي موقوفاً على ثبوته، لا يصح الاستدلال عليه بالنقل؛ لأن ذلك موجب لتقدم الشيء على نفسه وهو الدور المحال، فكان العقل لهذا أصلاً للنقل وشاهداً على صدقه، وإهماله -إذا كانت دلالته قطعية- ورد مقتضاه، موجب لانهيار أصل النقل وللطعن في شاهده الذي لم يثبت إلا به، فيكون هذا إبطالاً للنقل.

كان يمكن لهذه القاعدة أن تُقبل، لولا أولئك الذين أرادوا من المتكلمين أن يجعلوا من النقل مطية للعقل، لدرجةٍ جرأت البعض منهم على أن يوجِّه آيات القرآن وأدلة السنة في غير مسارها الذي أنزلت من أجله أو بعيداً عن سياقاتها المحمولة عليها على وجهها الصحيح، كما فعل أصحاب المدرسة العقلية عندما وضعوا أنسقة فكرية في أذهانهم -كفروض يعملون على إثباتها- وغايتهم من ذلك: أن يجدوا بين الآيات والأحاديث ما يؤيد رأيهم ويدعم مذهبهم ولو بتعسف، فإن وجدوا في الأدلة ما يخالف مذهبهم، قاموا بتأويل الآيات والأحاديث تأويلاً لا تحتمله النصوص ولا يقوم على دليل واضح، أو قاموا برد الأحاديث الثابتة بالسند الصحيح بزعم أنها ظنية من رواية الآحاد التي لا تفيد بزعمهم أيضاً، اليقين في أمور الاعتقاد.

وهذا ما يجري الآن للأسف لضعف الإيمان، وما ارتضاه شيخ الأزهر وما يُعد بحق - عياذاً بالله من ذلك - خروجاً على النصوص الشرعية ورداً لها، وتقديماً بين يديها وعدم تسليم لها، وهو ما نهى الله عنه في مثل قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» [الحجرات: ١]، ووجه إليه في قوله: «إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾» [النور: ٥١]، وقوله: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾» [الأحزاب: ٣٦].. إلى آخر ذلك.

٤- وللتعرف على مؤسس مدرسة معارضة العقل وتقديمه حينذاك على النقل - حتى لا ينخدع الناس ببريق كلامه أو بأحد من أعوانه - قرر أهل العلم أن تقديم العقل على النقل هو سبيل (إبليس)، فهو أول من عارض النقل بالعقل.. وذلك أن الله عندما أمره بالسجود لآدم عارض أمره بقياس عقلي مركب من مقدمتين هما، قوله: (أنا خير منه)، وقوله: (خلقتني من نار وخلقته من طين)، وكانت النتيجة لديه وعلى مذهبه: (أنَّ خير المخلوقَيْن لا يسجد لمن هو دونه).. وأنت إذا تأملت مادة هذا القياس وصورته، رأيته أقوى من قياسات من تبعه ممن عارضوا بها الوحي، والكل باطل.. وكان بشار بن برد الشاعر الأعمى على هذا المذهب، ولهذا قال في قصيدته:

الأرض مظلمة سوداء معتمة

والنار معبودة مذ كانت النار

ولما علم الشيخ أبو مرة - إبليس - أنه قد أصيب من معارضة الوحي بالعقل، وعلم أن لا شيء أبلغ في مناقضة الوحي والشرع وإبطاله، من معارضته بالمعقول، أوحى إلى تلامذته وإخوانه

من الشبهات الخيالية ما يعارضون بها الوحي، وأوهم أصحابه أنها قواطع عقلية، وقال: (إن قدمتم النقل عليها فسدت عقولكم).. وغاب عن الشيخ أبي مرة ما غاب عن كثيرين، من أن القياس إذا صادم النص وقابله، كان قياساً باطلاً ويسمى قياساً إبليسياً، لأنه يتضمن معارضة الحق بالباطل، ولهذا كانت عقوبته أن أفسد الله عليه عقله ودنياه وآخرته.. وبمثل جرمه يجرم أتباعه الآن وإلى يوم القيامة ويكون مصيرهم من مصيره.. وصدق الله القائل: «وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ» [الأنعام: ١٢١]، والقائل: «وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ» [الأنعام: ١١٢]، [ينظر مختصر الصواعق ص ١٥١: ١٥٣].. وفي هذا - من دون شك - ما يحد من سلطان العقل بحيث لا يكون النقل مطية له.

يقول محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: «اعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة: شبهة إبليس، ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص.. وتشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات، وسرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلالة، وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأناجيل الأربعة.. ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرات بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع منه. [ينظر السابق ص ٢١٨ والملل والنحل ص١١].. ما يعني أن هذا المبدأ مرفوض لدى أهل العلم من أساسه، لكونه منافياً للإسلام.

٥- وقد ورث هذه الطريقة عن إبليس - لعنه الله - الجعد بن درهم، فهو أول من عارض الوحي بالرأي، ولما اشتهر أمره في المسلمين طلبه خالد القسري وكان أميراً على العراق، حتى ظفر به وذبحه يوم الأضحى في أصل المنبر، ومع ذلك فقد خلفه فيها أتباع جهم بن صفوان وأتباعه والمعتزلة ومن تأثر بهم من المتكلمة ومتأخري الأشاعرة، فهذا ميراثهم عن إبليس وهو سلفهم إليه.. ثم انطفات تلك البدعة حتى عصر القرامطة والباطنية الذين دعوا أقوامهم إلى العقل المجرد، وأن أمور الرسل تعارض المعقول، فجرى على الإسلام وأهله منهم ما جرى وكسروا عسكر الخليفة وقتلوا الحجيج، واقتلعوا الحجر الأسود من مكانه وقويت شوكتهم.. وأصل طريقتهم: أن الذي أخبرت به الرسل قد عارضه العقل، وإذا تعارض العقل مع النقل قدم العقل.. وهذا كله يدعونا لنبذ طريقتهم هذه وعدم مجاراتهم.

على أن أرباب هذه الطريقة ومن تأثر بهم من الفلاسفة وفرق الشيعة والخوارج والمعتزلة وطوائف أهل الكلام - وهذا مما تجدر الإشارة إليه - مضطربون في العقل الذي يعارض النقل أشد الاضطراب، وكل منهم يدعي أن صريح العقل معه وأن مخالفه قد خرج عن صريح العقل، وقد ساعدهم على هذا أن المعقولات ليس لها ضابط ولا هي محصورة في نوع معين.. ونحن نصدق جميعهم ونبطل عقل كل فرقهم بعقل الأخرى، ثم نقول للجميع ما قاله ابن القيم: «بعقل من منكم يوزن كلام الله ورسوله ﷺ فما وافقه قُبل وأقر عليه، ومن خالفه أُوِّل أو فُوِّض إلى عقولكم؟ أعقل أرسطو وشيعته؟! أم عقل أفلاطون أم ابن سينا أم الجعد أم جهم؟! أم النظَّام أم العلاف أم الجُبَّائي أم بشر المريسي؟! أم فخر الدين الرازي، وقد هداه الله ورجع عما كان عليه؟ [ينظر مختصر الصواعق ص ٩٦: ١٧٠، ١٧٢].

٦- إن غاية ما جنح إليه الإمام الرازي ومن حجل بقيده من الخلف، في فرضية التعارض التي ما انفك يذكرها له ولهم فضيلة شيخ الأزهر دون أن يسجل رجوعه ورجوعهم عنها إلى نهج السلف، قولهم: (إنا لو قدمنا النقل - في حال التعارض - على العقل، لبطل العقل وهو أصل النقل، وللزم بالتالي بطلان العقل والنقل، فتعين تقديم العقل).. وجوابه: أن قولهم: (إن قدمنا النقل لزم الطعن في أصله)، ممنوع.

ذلك أنه إن أرادوا بذلك: جعل العقل أصلاً في ثبوت النقل في نفس الأمر، فهذا لا يقول به عاقل؛ لأن النقل ثابت في نفس الأمر وليس موقوفاً على علمنا به، فعدم علمنا بالحقائق لا ينافي ثبوتها في نفس الأمر، فما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ هو ثابت في نفسه، سواء علمناه بعقولنا أم لم نعلمه، وسواء صدقه الناس أو لم يصدقوه، كما أن رسول الله حقاً وإن كذبه من كذبه، وكما أن وجود الله وثبوت أسمائه وصفاته حق سواء علمناه بعقولنا أو لم نعلمه، فلا يتوقف ذلك على وجودنا فضلاً عن علومنا وعقولنا؛ لأن الشرع المنزل من عند الله مستغنٍ في نفسه عن علمنا وعقلنا، ولكن نحن محتاجون إليه وإلى أن نعلمه، فإذا علم العقل ذلك حصل له كمال لم يكن قبل ذلك، وإذا فقده كان ناقصاً جاهلاً.

وإن أرادوا به: أن العقل أصل في معرفتنا

بالنقل ودليل على صحته، قيل لهم: ليس كل ما يُعرف بالعقل يكون أصلاً للنقل ودليلاً على صحته، فإن المعارف العقلية أكثر من أن تُحصى، والعلم بصحة السمع يتوقف على ما به يُعلم صدق الرسول من العقليات، وليس كل العلوم العقلية يُعلم بها صدقه ، بل إن ذلك يعلم بالبراهين والآيات الدالة على صدقه، فعُلم بذلك أن جميع المعقولات ليست أصلاً للنقل، لا بمعنى توقف العلم بالنقل عليها.. ولا بمعنى توقف ثبوته في نفس الأمر عليها، وأنه لا يلزم من تقديم السمع على المعقول في الجملة، القدحُ في أصله. [ينظر مختصر الصواعق ص ٩٨: ١٠٠، ودرء التعارض ١/ ٨٨].

٧- وجوابه أيضاً: أن هذا التقسيم الذي جنح إليه الرازي غير صحيح ولا منطقي بالمرة، ذلك أنه بنى هذه القاعدة على تقسيم وأصل باطلين؛ حيث قال - وقد تبنى قوله فضيلة شيخ الأزهر -: إنه عند تعارض النقل والعقل، إما أن يقال بالجمع بينهما، أو ببطلانهما، أو بتقديم النقل، أو بتقديم العقل.. ثم ما كان منه إلا أنه اختار الأخير منها للعلة السابق ذكرها وهي: (أنا لو قدمنا النقل - في حال التعارض - على العقل، لبطل العقل وهو أصل النقل، وللزم بالتالي بطلان العقل والنقل، فتعين تقديم العقل) [ينظر أساس التقديس للرازي ص ١٩٣، ١٩٤]..

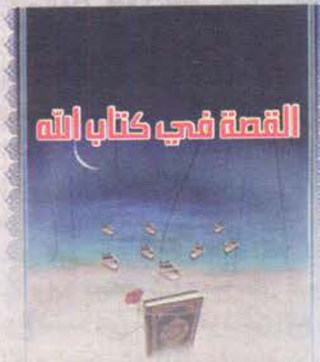
وهذا «التقسيم - فضلاً عن أنه جعل من العقل طاغوتاً على حد تسمية ابن القيم وقيض لكسره باباً في صواعقه استغرق منه قرابة المائتي صفحة - هو باطل من أصله.. والتقسيم الصحيح أن يقال: إذا تعارض دليلان سمعيان أو عقليان أو سمعي وعقلي، فإما أن يكونا قطعيين، وإما أن يكونا ظنيين، وإما أن يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً، فأما القطعيان فلا يمكن تعارضهما، وإلا لزم الجمع بين النقيضين، وإن كان أحدهما قطعياً والآخر ظنياً تعين تقديم القطعي سواء كان عقلياً أو سمعياً، وإن كانا ظنيين صرنا إلى الترجيح ووجب تقديم الراجح منهما» لا لكون المتعين أو الراجح فيما إذا كان عقلياً لأنه عقلي، وإنما لكونه قطعياً.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا التقسيم - زيادة على أنه المترجح المتفق على مضمونه بين العقلاء - فإن جانب الترجيح أو القطع العقليين فيه، يصبان في دائرة المباحات على ما سيأتي بيانه، كما أنه الذي «علم منه أن إثبات التعارض بين الدليل العقلي والسمعي والجزم بتقديم العقلي مطلقاً خطأ، وأن جعل جهة الترجيح كونه عقلياً خطأ، وأن جعل سبب التأخير والاطراد كونه نقلياً خطأ» [الصواعق ص ٩٨ وينظر ما قبلها وما بعدها].

٨:- أن تقديم العقل على النقل يتضمن القدح في العقل والنقل معاً وليس العكس؛ لأن العقل - فضلاً عما سبق ذكره - قد صَدَّق الشرع، ومن ضرورة تصديقه له قبول خبره.. وأيضاً لأن العقل قد شهد الشرع والوحي بأن النقل أعلم منه، وأن نسبة علوم العقل ومعارفه إلى الوحي، أقل من خردلة بالإضافة إلى جبل، فلو قدم حكم العقل عليه لكان ذلك قدحاً في شهادته، وإذا بطلت شهادته بطل قبول قوله، ذلك أن الشرع فضلاً عن أنه مأخوذ عن الله بواسطة رسوليه: الملك والبشر، هو كذلك مؤيدٌ بشهادة الآيات وظهور البراهين على ما يوجبه العقل ويقتضيه تارة، وعلى ما يستحسنه تارة وعلى ما يجوزه تارة ويضعف عن دركه تارة، فلا سبيل إلى الإحاطة به ولا مناص من التسليم له والانقياد لحكمه والإذعان والقبول به.

وهنا يسقط (لمَ) ويبطل (كيف؟) وتزول (هلا) وتذهب (لو و ليت) في الريح.. ويقع ما أخبر الله به في قوله: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» [المائدة: ٣]، حيث أخبر أنه قد تمم الدين لنبيه ﷺ وكمَّله به، ولم يحوجه هو ولا أمته من بعده في تغليب المصالح المعتبرة إلى عقل ولا نقل سواه.. ويكون ما أمر الله به عباده في قوله: « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾» [النساء: ٦٥]، حيث أقسم بأنا لا نؤمن حتى نحكم رسوله في جميع ما شجر بيننا وتتسع صدورنا لحكمه فلا يبقى فيها حرج، ونسلم لحكمه تسليماً فلا نعارضه بعقل ولا برأيي.. وفي قوله: «فما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله..» [الشورى: ١٠]، حيث أخبر أن حكم جميع ما تنازعنا فيه مردود إلى الله وحده، فهو الحاكم فيه على لسان رسوله، فلو قدم حكم العقل على حكمه لم يكن هو الحاكم بكتابه.. وفي قوله: «اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون..» [الأعراف: ٣]؛ حيث أمر باتباع الوحي المنزل وحده ونهى عما خالفه، كما أخبر سبحانه - في غير ما ذكرنا من الآيات - أن كتابه هدى وشفاء وبينة ورحمة ونور ومفصل وبرهان وحجة وبيان، فلو كان في العقل ما يعارضه ويجب تقديمه على القرآن، لم يكن فيه شيء من ذلك بل كانت هذه الصفات للعقل دونه. [ينظر السابق ١٠٢: ١٠٦].

ونكمل المقال في العدد القادم لنتحدث عن تراجع فخر الدين الرازي عما نسب إليه من تقديم العقل على النقل والله الموفق.



قصة ابني آدم (١)

(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ)

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد



الحمد لله الذي خلق النفوس فسواها، ألهمها فجورها وتقواها، والصلاة والسلام على المبعوث بتزكية النفوس ومكارم الأخلاق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعدُ:

قال الله تعالى: «وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ
بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ
ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ (٢٧)
لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ
إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٨) إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى
وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٩)
فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ
(٣٠) فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى
سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا
ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ (٣١)»
[المائدة:٢٧ - ٣١].

أيها الأخ الكريم: هذه قصة النفس البشرية حين تطبع على خلال الخير فتسمو عن الدناءات وسفاسف الأمور وترتفع عن حطام الدنيا الزائل، وقصتها أيضًا حين تطبع على الحسد والغدر والعدوان، وحين يَظُنُّ الفاشل البليد الحاقد حين يتخلص من منافسه التقي النقي أنه سيبني نفسه فإذا هو يهدمها؛ لأن الإنسان لا يبني نفسه بهدم غيره؛ بل بجهده الإيجابي في تقوية النفس وتزكيتها.

ثانيًا: اختلاف النفوس باختلاف ما جُبِلَت عليه:

لا شك أن النفوس تختلف باختلاف ما جلبت عليه من خير أو شر، ثم يأتي دور المجاهدة لزيادة نصيب الخير والاستقامة عليه، وتقليل نصيب الشر والقضاء عليه، وصدق الله العظيم حين قال: «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا
(٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدْ
خَابَ مَن دَسَّىٰهَا (١٠)» [الشمس:٧ - ١٠]، ورحم الله ابن القيم حين قال: «سبحان الله في النفس كبر إبليس وحسدُ قابيل، وعتو عاد، وطغيان ثمود، وجرأة نمرود واستطالة فرعون وبغي قارون وخفة هامان».

وقال مالك بن دينار: «إن الأبرار لتغلي

قلوبهم بأعمال البر، وإن الفجار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور، والله يرى همومهم؛ فانظروا في همومكم».

ثالثًا: هذا الذي أشرنا إليه آنفًا نلاحظه بوضوح في هذه القصة، كما نستخلص أمورًا أخر من الفوائد والعبر في حينه إن شاء الله، ونبدأ بوقفة مع الآيات الكريمة نوجزها فيما يلي:

١- واقصص عليهم - يا رسول الله - على بني إسرائيل وعلى غيرهم خبر ابني آدم - وهو خبر حق وصدق - حين قدَّم كلاهما قربانًا، فتُقبل من هابيل، ولم يُتقبل من قابيل، وقد تم ذلك بأن جاءت نار فأكلت ما قدمه هابيل، ولم تأكل ما قدمه قابيل.

وللمفسرين حول هذا تعليقات، بعضهم قال: الذي قدَّمه قابيل كان هزيلاً لا قيمة له، والبعض الآخر قال كان قابيل عاطلاً لا يعمل ولا يملك شيئًا، وكان هابيل يعمل في رعي الأغنام، وقال آخرون: كان قابيل يعمل في الزراعة وهابيل يعمل في الرعي.

والخلاصة كما قال الله تعالى على لسان هابيل: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» [المائدة:٢٧].

٢- دبَّ الحسد في قلب قابيل، وانتقل إلى جوارحه بصورة واضحة، وهذا الذي استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما علَّمنا القرآن في قوله تعالى: «وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥» [الفلق:٥].

فقال قابيل لأخيه هابيل: (لأقتلنك) هكذا بصيغة التوكيد، لكن لماذا تقتله يا قابيل؟ لا لشيء إلا أن الله تقبل منه ولم يتقبل منك؟ وما ذنب أخيك هابيل؟ وما الجريمة التي ارتكبها هابيل حتى يستحق عليها القتل وما ذنبه إلا أن يكون من المتقين، وأن الله أحبّه لتقواه وتقبل منه، لماذا لا تحاول أن تكون مثله من المتقين حتى يتقبل الله منك؟ ولأن نفس قابيل كانت مثل نفس الشيطان، فامتلأت شرًا فحسد أخاه وحقد عليه ولم ير أمامه إلا قتله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣- قابل هابيل سيئة أخيه بالحسنة لعله يرعوي أو ينزجر، فقال له: لئن مددت إليَّ يدك لتقتلني لن تجد مني مثل فعلك، إني أخاف الله رب العالمين، كما أني أريد أن تتحمل أنت وزر قتلي مضافًا إلى أوزارك السابقة، فتكون بذلك من أصحاب النار الملازمين لها.

٤- ولما غلت مراجل الحقد والحسد في قلب قابيل، وأغلقت منافذ التفكير في عقله لم يتورع عن المسارعة بالبطش بأخيه وقتله، وبذلك سقط في معين الخسران، الذي جعله عاجزًا عن مواراة جثة أخيه، ويبدو أن هذه الجريمة وقعت في وقت مبكر جدًا من هبوط آدم وزوجه إلى الأرض؛ لأن قابيل لم يكن يعرف كيف يتصرف في جثة أخيه حتى بعث الله غرابًا ينقر في الأرض يحفر فيها حفرة عميقة يواري فيها جثة غراب آخر؛ فتعلم منه قابيل كيف يواري جثة أخيه أي كيف يدفنها.

وهنا اختصر السياق القرآني أحداثًا نفهمها من السياق، وهذا أحدُ وجوه الإعجاز في الأسلوب القرآني الفريد؛ لأنه ما من شك قد مرَّت فترة زمنية طويلة من حيرة قابيل وذكر بعض المفسرين أن قابيل حمل جثة أخيه على ظهره وطاف بها طويلاً (قيل: سنة، وقيل: مائة سنة، كما نقله ابن كثير)، لا يعرف كيف يتصرف فيها، حتى رأى ما فعله الغراب.

٥- وهنا أدرك قابيل عجزه وضعفه بل وغباءه، وقد صرَّح بذلك كما حكى عنه القرآن الكريم: «قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّٰدِمِينَ ۝٣١» [المائدة:٣١].

٦- نقل ابن كثير عن ابن عباس قصة مؤداها خلاف نشب بين قابيل وأخيه هابيل بسبب رغبة قابيل في الزواج من أخته التي ولدت معه لوضاءتها في بطن غير الذي ولدت معه، فكانت الفتاة المولودة مع قابيل من حق هابيل كما كان متبعًا في ذلك الوقت، لكن قابيل بغى على أخيه... ومهما يكن من أمر بشأن صحة هذه القصة من عدمه فقد حسد قابيل أخاه، يقول ابن كثير رحمه الله: قال في تفسيره: «يقول تعالى مبينًا وخيم عاقبة البغي والحسد

والظلم في خبر ابني آدم». ثم قال: «أي اقصص على هؤلاء البغاة الحسدة إخوان الخنازير والقردة من اليهود وأمثالهم وأشباههم خبر ابني آدم بالحق». انتهى مختصرًا. وعلى هذا أجمع المفسرون؛ فالحسد هو المحرك الأول لهذه الجريمة الشنعاء.

٧- صلة هذه القصة ببني إسرائيل:

مما لا شك فيه أن هذه القصة وثيقة الصلة بالحديث عن بني إسرائيل، وهذا واضح جلي من السياق القرآني في السباق واللحاق، فالقصة جاءت تعقيبًا على ما ذكره القرآن من تمرُّد بني إسرائيل على أوامر موسى ونكوصهم عن دخول القرية التي أمرهم الله بدخولها، فأبوا الانقياد لأمر الله، وبلغت بهم الوقاحة أن قالوا لموسى: «فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ» [المائدة:٢٤]، هذا وقد جاء تعقيب القرآن على القصة «مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢)» [المائدة:٣٢].

ونستطيع بعون الله أن نُلخص علاقة القصة ببني إسرائيل فيما يلي:

١- بنو إسرائيل تمردوا على أوامر الله تمرُّد قابيل على أوامر الله.

٢- بنو إسرائيل دب فيهم داء الأمم ألا وهو الحسد فقديمًا حسد أبناء إسرائيل أخاهم يوسف وتآمروا على قتله وانتهى بهم الأمر على التخلص منه ليخلوا لهم وجه أبيهم بغير جريرة جناها يوسف عليه السلام، وهذا الذي فعله قابيل تمامًا مع أخيه هابيل.

٣- وحسد اليهود العرب على بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ونزول القرآن بين ظهرانيهم، وحملهم ذلك على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وبالإسلام مع علمهم بذلك وإقرارهم به، ولكن منهم الحسد والحقد على الكفر وعدم الإيمان.

قال الله تعالى في سياق الحديث عن اليهود: «أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤)» [النساء:٥٣ - ٥٤].

وقال تعالى: «وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ» [البقرة:١٠٩].

فالحسد إذن صفة لازمة لبني إسرائيل قديمًا وحديثًا.

٤- انتشار القتل بينهم وجرأتهم عليه حتى قتلوا أولياء الله وأنبياءه، ومن هنا قال الله تعالى تعقيبًا على قصة ابني آدم: «مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا» [المائدة:٣٢] من أجل حرمة القتل الشديدة، وكونه إزهاق نفس حرَّم الله قتلها بغير حق، وهذا من أعظم الحرمات على الله، ومن أجل ما وقع فيه بنو إسرائيل من استهانتهم بالدماء، كتبنا عليهم أي شرعنا لهم وفرضنا عليهم، وكانت التوراة أول الكتب التي حرَّم الله فيها قتل النفس وجاء فيها شرع القصاص، كما قال الله تعالى: «وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ» [المائدة:٤٥]. هذا بعض ما كتبه الله في التوراة على بني إسرائيل، فهل عملوا به؟! اللهم لا. إلا قليلاً.

٤- وكتب الله علينا في القرآن: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)» [المائدة:٣٣]، فهل عملنا به؟ وأقمنا حدود الله؟

لو أقمنا حدود الله في مجرم واحد لساد الأمن، وتحقق العدل، وانتفت ظاهرة البلطجة وجميع الظواهر السلبية التي تهدد أمن المجتمع وأمانه. اللهم انشر رحمتك على العباد، ودمِّر أهل الزيغ والفساد.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

باب الأسرة

الإخلاص وأثره في الدنيا والآخرة

إعداد/ جمال عبدالرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فإن الإخلاص من الصفات الروحية التي تسمو بالمرء إلى منزلة رفيعة من الخلق الإنساني، والإخلاص يجعل الإنسان متقنًا في عمله، لطيفًا في خلقه، نقيًا في سلوكه، وفيًا في تعامله، كريمًا في عطائه، صادقًا في أخوته، مؤديًا لواجباته غير مشرك في عبادته لربه، وبالإخلاص ينال الإنسان السعادة في الدنيا والآخرة.

والإخلاص لله: هو أن يأتي الإنسان بأعمال نقية، لا يشوبها رياء، قيامًا بالواجب، سواء في العبادات أو في سائر الأعمال، قاصدًا بذلك وجه الله ورضاه، وقيل الإخلاص: هو التعري عما دون الله تعالى، أي تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين.

وفي الذكر الحكيم: « قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) » [آل عمران:٢٩].

ويقول سبحانه وهو الحكيم الخبير: « فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) » [الكهف:١١٠]، ومن هذه النصوص يدرك الإنسان العاقل أن الإخلاص روح الأعمال، فأي عمل يؤديه المرء ولا إخلاص فيه فليتأكد أنه لا روح فيه، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وابتُغي به وجهه». [النسائي: ح٣٠٨٩ وصححه الألباني].

معنى الإخلاص: يُقال: خلص الشيء، أي: صار خالصًا، وكل شيء خلص لونه فهو حواريّ، فالحواري: الناصح، وأصله الشيء الخالص، والحواريات من النساء النقيات الألوان والجلود، وقال الزجاج: الحواريون: خُلصاء الأنبياء وصفوتهم، والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الزبير ابن عمتي وحواريَّ من أمتي» [مسند أحمد وصححه الألباني]. قال: وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حواريون. وتأويل الحواريين في اللغة: الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب.

وفي تفسير الطبري: المخلِص والمخلَص متفقان المعنى. وذلك أن من أخلصه الله لنفسه فاختاره، فهو مُخْلَصٌ لله التوحيدَ والعبادة، ومن أخلص توحيدَ الله وعبادته فلم يشرك بالله شيئًا، فهو من أخلصه الله، وما أحوج الأمة التي وحدة بنائها الأسرة المسلمة إلى الإخلاص لله تعالى حتى يزول الشقاء، ويقبل العناء، ويسعد الجميع دنيا وآخرة.

جوانب الإخلاص:

١- إخلاص الدين لله تعالى:

قال الله تعالى: « إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

«فاعبد الله مخلصا له الدين (٢) ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار (٣)» [الزمر:٢-٣].

وقال تعالى: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة (٥)» [البينة:٥].

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من صلاته يقول بصوته الأعلى: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون». [رواه مسلم].

٢- إخلاص النية لله:

قال الله تعالى: «الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (٣٩)» [الأحزاب:٣٩].

وقال جل شأنه: «ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم (٢٣٥)» [البقرة:٢٣٥].

٣- إخلاص القول لله:

قال الله تعالى: «وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا (٩)» [النساء:٩].

وقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (٧٠) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما (٧١)» [الأحزاب:٧١].

٤- إخلاص العمل لله تعالى:

قال الله تعالى: «وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون» [البقرة:٢٧٢].

وقال تعالى: «وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون» [الأنفال:٦٠].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان». [أخرجه أبو داود عن أبي أمامة رضي الله عنه ح٤٦٨١، وصححه الألباني].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله». [رواه البخاري ومسلم وأبو داود، وغيرهم، من حديث أبي موسى رضي الله عنه].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه». [صحيح البخاري: ٢٠/١ عن ابن عمر رضي الله عنهما].

٥- إخلاص الدعاء لله:

قال الله تعالى: «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا (١٨)» [الجن:١٨].

وقال جل وعلا: «فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون (٦٥)» [العنكبوت:٦٥].

وقال تعالى: «فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون (١٤)» [غافر:١٤].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء». [سنن أبي داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني].

أي: ادعوا له بإخلاص وحضور قلب؛ لأن المقصود بهذه الصلاة إنما هو الاستغفار والشفاعة للميت، وإنما يرجى قبولها عند توفر الإخلاص والابتهال، ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء ما لم يشرع مثله في الدعاء للحي.

دعاء الأنبياء والصالحين بالإخلاص:

آيات كثيرة يدعو فيها الأنبياء والصالحون بأن يحيوا مسلمين ويموتوا مسلمين، يعني مخلصين، مثل:

«ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك» [البقرة:١٢٨] - يعني مخلصين لك -.

«إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين» [المائدة:١١٢]. يعني: مخلصين بتوحيد الله عز وجل.

«ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين» [الأعراف:١٢٦].

يعني: مخلصين لله، حتى لا يردنا البلاء عن ديننا.

وكذلك دعاء يوسف عليه السلام: «أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين» [يوسف:١٠١].

أثر الإخلاص

١- نجاة من المهالك:

قال الله تعالى: «وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور (٣٢)» [لقمان:٣٢].

٢- صيانة للقلب:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم أبدا: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم». [مسند أحمد وصححه الألباني].

قوله: ثلاث لا يغل إلخ. من الإغلال وهو الخيانة، ويروى بفتح الياء من الغل هو الحقد والشحناء، أو

يكون المعنى: قلب الرجل المسلم حال كونه متصفًا بهذه الخصال الثلاث لا يصدر عنه الخيانة والحقد والشحناء، ولا يدخله مما يزيله عن الحق، والحاصل أن هذه الخصال الثلاث مما يستصلح به القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والحقد وغيرهما من الرذائل. [شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره ص٢١].

٣- صلاح الأحوال وقبول الأعمال، ومغفرة الذنوب والفوز العظيم في الآخرة:

قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)» [الأحزاب: ٧٠-٧١].

نماذج من المخلصين

- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لطلب سعد بن الربيع، وقال لي: «إن رأيته فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله: كيف تجدك؟» قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف ورمية بسهم، فقلت له: يا سعد، إن رسول الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: «خبرني كيف تجدك؟» قال: على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له: يا رسول الله، أجدني أجدُ ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يُخلَص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيكم شفرٌ يطرف، قال: وفاضت روحه رحمه الله. [الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح].

- قال كعب بن مالك رضي الله: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال، وهو يبرق وجهه من السرور: « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك »، قال: قلت: أمِنْ عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: « لا، بل من عند الله ». وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرّ استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك». قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، فقلت: يا رسول الله، إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت. فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا كذبا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت، وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم: « لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ » [التوبة: ١١٧] إلى قوله: «وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ » [التوبة: ١١٩]، فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا - حين أنزل الوحي - شر ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى: « سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٩٥) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ (٩٦)» [التوبة: ٦٥-٩٦]. [صحيح البخاري: ٦/٦].

- عن شداد بن الهاد، أن رجلاً من الأعراب جاء النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، فلما كانت غزوة، غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبيا « فقسم وقسم له « فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذه فجاء به النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا فقال: « قسم قسمته لك « قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أُرمى هاهنا وأشار إلى حلقه بسهم، فأموت فأدخل الجنة فقال صلى الله عليه وسلم: «إن تصدق الله يصدقك». فلبثوا قليلا، ثم نهضوا في قتال العدو فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَهُوَ هُوَ؟» فقالوا: نعم. قال: «صدق الله فصدقه». ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قدمه فصلى عليه فكان مما ظهر من صلاته عليه: « اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك، فقتل شهيدا، أنا شهيد عليه». [سنن النسائي، وصححه الألباني].

إخلاص أعرابية فقدت ولدها:

قال الأصمعي: حجت أعرابيةٌ ومعها ابنٌ لها، فأصيبت به، فلمّا دُفن قامت على قبره، وهي مُوجَعَة فقالت: واللّه يا بنيّ لقد غَذَوْتك رضيعاً، وفقدتُك سريعاً، وكأنه لم يكن بين الحالين مدةٌ ألتذُّ بعيشك فيها، فأصبحتَ بعد النَّضارة والغَضارة ورونق الحياة والتنسّم في طيب روائحها، تحت أطباق الثرَى جَسداً هامداً، ورُفَاتاً سحيقاً، وصعيداً جُرُزاً. أي بني لقد سَحَبَت الدنيا عليك أذيال الفناء، وأسكنتك دارَ البِلَى، ورمَتني بعدك نَكْبَةُ الرَّدَى، أي بني، لقد أسفر لي وجهُ الدنيا عن صباح دَاج ظلامُه.

ثم قالت: أي ربّ ومنك العدل، ومن خَلْقك الجَوْر، وهَبْتَه لي قُرَةَ عين فلم تُمَتِّعني به كثيراً، بل سَلَبْتنيه

وَشيكاً؛ ثم أمرتني بالصبر، وَوَعَدْتني عليه الأجر، فصَدَّقْتُ وَعْدَك، ورضيت قضاءك، فرحم الله من ترحَّم على من استودَعْتُه الرَّدْم، ووسَدْتُه الثَّرى؛ اللهم ارحم غربته، وآنس وحشته، واسترْ عَوْرَته، يوم تُكْشف الهَنَات والسوءات.

فلما أرادت الرجوعَ إلى أهلها وقفت على قبره، فقالت: أي بني، إني قد تزوَّدْت لسفري، فليت شعري ما زادُك لبُعْد طريقك، ويوم مَعَادك؟ اللهم إني أسألك له الرضا برضائي عنه. ثم قالت: استودَعْتُك مَن استودَعَنيك في أَحْشَائي جنيناً؛ وأثكل الوالدات ما أمض حرارةَ قلوبهنَّ، وأقْلَق مضاجعهن، وأطول ليلهن، وأقصرَ نهارهن، وأقل أنسهنَّ، وأشدّ وحشتهن، وأبعدهنّ من السرور، وأقربهنّ من الأحزان. [زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق القيرواني ٢/٤٥٩].

- وفي هذا المعنى قال نبينا صلى الله عليه وسلم: «إن السقط ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبته». يعني صبرت لفقده وأخلصت لخالقه، ورضيت بقائه.

جزاء من أهمل الإخلاص

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، يَقُولُ افْتَتَحْنَا خَيْبَرَ وَلَمْ (فلَمْ) نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً إِنَّمَا غَنِمْنَا الْبَقَرَ وَالإِبِلَ وَالْمَتَاعَ وَالْحَوَائِطَ ثُمَّ انْصَرَفْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى وَادِي الْقُرَى، وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ أَهْدَاهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضِّبَابِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَحُطُّ رَحْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ حَتَّى أَصَابَ ذَلِكَ الْعَبْدَ فَقَالَ النَّاسُ هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا، فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِرَاكٍ أَوْ بِشِرَاكَيْنِ، فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ كُنْتُ أَصَبْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شِرَاكٌ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ». [البخاري ومسلم].

- عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إِلَيْهِ - وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا فَقَالَ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. [رواه البخاري ومسلم وأبو داود].

عَنْ شفيّ الأَصْبَحيّ أَنَّهُ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَد اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَقَالَ مَنْ هَذَا فَقَالُوا أَبُو هُرَيْرَةَ. فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلاَ قُلْتُ لَهُ أَنْشُدُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفْعَلُ، لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ. ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمَكَثَ قَلِيلاً ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ. ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَى ثُمَّ أَفَاقَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ فَقَالَ لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ. ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَى ثُمَّ أَفَاقَ وَمَسَحَ وَجْهَهُ فَقَالَ أَفْعَلُ لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَأَنَا مَعَهُ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَهُ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ. ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلاً ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ حَدَّثَنِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي قَالَ بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ قَالَ كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ إِنَّ فُلاَنًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ قَالَ بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ قَالَ كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلاَنٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ فِي مَاذَا قُتِلْتَ فَيَقُولُ أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلاَنٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلَى رُكْبَتِي، فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلاَثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ الله تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وهكذا يودع الله تعالى من أهمل الإخلاص وابتغى وجه الناس، وترك العمل لله، في أول مَن تُسعر بهم النار يوم القيامة جزاء اكتفائهم بمدح الخلق وثنائهم، والعزوف عما عند الله الواحد الأحد.

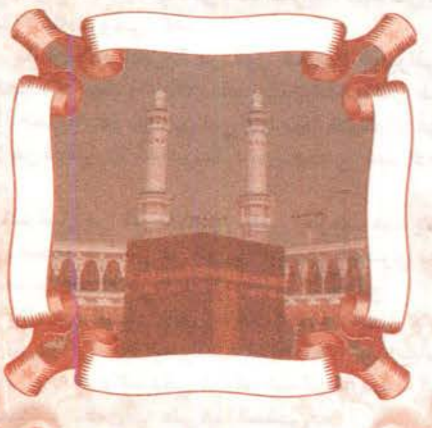
نسأل الله الإخلاص في الأقوال والأعمال وأن يصلح لنا الأحوال ويحسن لنا الختام، والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة الضبِّ وإسلام ألف أعرابي

الحلقة (١٣٩)

إعداد/ علي حشيش



نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وانتشرت بين الناس، وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة:

أولاً: المتن

يُرْوَى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه، إذ جاء رجل أعرابي من بني سُليم قد صاد ضبًا وجعله في كُمِّه، فذهب به إلى رَحْله، فرأى جماعة فقال: على من هذه الجماعة؟ فقالوا: على هذا الذي يزعم أنه نبي، فشق الناس، ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا محمد، ما اشتملت النساء على ذي لهجة أكذب منك ولا أبغض، ولولا أن يسميني قومي عجولاً لعجلت عليك فقتلتك، فسررت بقتلك الناس جميعًا.

فقال عمر: يا رسول الله، دعني أقتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما علمت بأن الحلم كاد أن يكون نبيًّا.

ثم أقبل الأعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «واللات والعزى لا آمنت بك».

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أعرابي، ما حملك على أن قلت ما قلت، وقلت غير الحق ولم تكرم مجلسي؟».

فقال: وتكلمني أيضًا؟! -استخفافًا برسول الله صلى الله عليه وسلم- واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب، فأخرج ضبًا من كمه وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «إن آمن بك هذا الضبُّ آمنت بك».

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ضبُّ»، فتكلم الضبُّ بكلام عربي مبين فهمه القوم جميعًا:

لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن تعبد؟».

قال الضب: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عذابه، قال: فمن أنا يا ضبُّ؟

قال: أنت رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، قد أفلح من صدقك، وقد خاب من كذبك.

فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله حقًا.

لقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد هو أبغض إليَّ منك، والله لأنت الساعة أحب إليَّ من نفسي، ومن والدي، وقد آمن بك شعري وبشري وداخلي

وخارجي وسري وعلانيتي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحمد لله الذي هداك إلى هذا الدين الذي يَعْلُو ولا يُعْلَى، لا يقبل الله إلا الصلاة، ولا يقبل الصلاة إلا بقراءة.

فعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحمد»، و«قل هو الله أحد».

فقال: يا رسول الله، ما سمعت في البسيط ولا في الزجر أحسن من هذا.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذا كلام رب العالمين، وليس بشعر.

إذا قرأت: «قل هو الله أحد» مرة فكأنما قرأت ثلث القرآن.

وإذا قرأت: «قل هو الله أحد» مرتين فكأنما قرأت ثلثي القرآن.

وإذا قرأت: «قل هو الله أحد» ثلاث مرات فكأنما قرأت القرآن كله.

فقال الأعرابي: نعم الإله إلهنا، يقبل اليسير، ويعطي الجزيل

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَعْطُوا الأعرابي، فأعطوهُ حتى أبطروه.

فقام عبد الرحمن بن عوف قال: يا رسول الله، إني أريد أن أعطيه ناقة أتقرب بها إلى الله دون البُختي وفوق الأعرابي وهي عُشَراء.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد وصفت ما تُعْطي، فأصف لك ما يعطيك الله جزاءً؟

قال: نعم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لك ناقة من دُرة جَوْفاء قوائمها من زبرجد أخضر، وعنقها من زبرجد أصفر، عليها هودج، وعلى الهودج السندس والإسْتبرق، تمر بك على الصراط المستقيم كالبرق الخاطف.

فخرج الأعرابي من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقيه ألف أعرابي على ألف دابة بألف رمح وألف سيف.

فقال لهم: أين تريدون؟

فقالوا: نقاتل هذا الذي يكذب ويزعم أنه نبي.

فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

قالوا له: صَبَوْت؟

قال: ما صبوت. وحدثهم الحديث، فقالوا بأجمعهم: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاهم بلا رداء فنزلوا عن ركابهم يقبلون ما ولوا عنه وهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فقالوا: مرنا بأمر تحبه يا رسول الله.

قال: تكونون تحت راية خالد بن الوليد. قال: فليس أحد من العرب آمن منهم ألف رجل جميعًا غير بني سُليم. اهـ.

ثانيا: التخريج

١- أخرج الخبر الذي جاءت به هذه القصة الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠) (ح٥٩٩٣) قال: حدثنا محمد بن علي بن الوليد السلميُّ البصريُّ، قال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، قال: حدثنا معتمر بن سليمان، قال: حدثنا كهمس بن الحسن، قال: حدثنا داود بن أبي هند، عن عامر الشعبي، قال: حدثنا عبد الله بن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب بحديث الضب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه؛ إذ جاء رجل أعرابي من بني سُليم قد صاد ضبًا ...». القصة.

٢- وأخرج هذا الخبر الحافظ الطبراني أيضًا في «المعجم الصغير» (٢/٦٤، ٦٥، ٦٦) بنفس الإسناد.

٣- وأخرج هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الإمام البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/٣٦، ٣٧، ٣٨) قال: أخبرنا أبو منصور: أحمد بن علي الدامغاني من ساكني قرية نامين من بيهق، قراءة عليه من أصل كتابه، حدثنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ في شعبان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة بجرجان، حدثنا محمد بن علي بن الوليد السلمي به.

٤- وأخرج هذا الخبر الحافظ أبو نعيم في «دلائل النبوة» ص(١٣٤، ١٣٥) قال: حدثنا سليمان بن أحمد إملاءً وقراءةً قال: حدثنا محمد بن علي بن الوليد السلمي البصري به...».

ثالثًا: التحقيق

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة خبر غريب؛ لذلك أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» الذي في الحقيقة كتاب غرائب جمع فيه الأحاديث التي تفرد بها بعض الرواة عن بعض، وقد ظهر في هذا الكتاب سعة رواية الحافظ الطبراني وكثرة اطلاعه على طرق الحديث، وتمييز الطرق التي فيها متابعات عن الطرق التي انفرد بها بعض الرواة عن بعض، وهذا الأمر لا ينقاد إلا لإمام جهبذ من جهابذة هذا الفن الدقيق الواسع، وقد تعب كثيرًا في إخراج هذا الكتاب على هذه الطريقة؛ لذلك كان يقول: «هذا الكتاب روحي». اهـ.

٢- تتبين هذه الغرابة من قول الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/٤٧٠) عقب حديث القصة قال: «لم يَرْوِ هذا الحديث عن داود بن أبي هند بهذا التمام إلا كَهْمَسٌ ولا عن كهمس إلا معتمر، تفرد به محمد بن عبد الأعلى». اهـ.

٣- ثم تبين من كتب الأصول التي أخرجت هذه القصة تفرُّد محمد بن عليّ بن الوليد السلمي البصري به عن محمد بن عبد الأعلى كما بيَّنا آنفًا من التخريج.

٤- نقل هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الحافظ ابن حجر في «البداية والنهاية» (٥/٥٤٢) بتمامه سندًا ومتنًا عن الإمام البيهقي، ثم نقل عنه أنه قال: «هذا الخبر ضعيف، والحمل فيه على هذا السلمي».

٥- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٦٥١/٧٩٦٤): «محمد

بن علي بن الوليد السلمي البصري عن محمد بن عبد الأعلى وعنه: الطبراني وابن عدي، روى أبو بكر البيهقي حديث الضبّ من طريقه بإسناد ضعيف، ثم قال البيهقي: الحمل فيه على السلمي هذا، ثم قال الذهبي: صدق والله البيهقي؛ فإنه خبر باطل». اهـ.

قلت: وفي قَسَم الإمام الذهبي على بطلان هذا الخبر، رد على شبهة المستشرقين وأتباعهم في زعمهم أن المحدثين حصروا عنايتهم في السند دون المتن، تلك الفرية التي تولدت عن جهلهم بمناهج المحدثين في الجرح والتعديل.

وأقر الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٥/٣٣٠) (٧٧٧٧/٩٩٢) ما أورده الإمام الذهبي في «الميزان» في ترجمة محمد بن علي بن الوليد السلمي البصري، وقال: «انتهى». ثم زاد: روى عنه الإسماعيلي في معجمه وقال: بصري. منكر الحديث». اهـ.

٧- قال ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (١/١٧): «فصل في سرد أسماء الوضاعين، والكذابين، ومن كان يسرق الأحاديث، ويقلب الأخبار ومن اتُّهم بالكذب والوضع من رواة الأخبار، ثم أورد تحت هذا الفصل في حرف الميم رقم (٢١٦) قائلاً: «محمد بن علي بن الوليد السلمي البصري عن محمد بن أبي عمر العدني وغيره، أتى بخبر باطل، الحمل فيه عليه». اهـ.

٨- وحكم الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (١٠/١٥٤) على الإسناد بأنه ضعيف جدًا وآفته السُّلمي؛ وبنى حكمه على أقوال الأئمة الإسماعيلي، والبيهقي، والذهبي.

قلت: بهذا يتبين أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة باطل، وأن القصة واهية.

رابعًا: بدائل صحيحة

إذا كانت قصة كلام الضب للنبي صلى الله عليه وسلم لم تثبت، كما بَيَّنا بطلانها، فهناك القصص الصحيحة الثابتة من دلائل النبوة ما يغني عن هذه القصص الباطلة، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

١- قصة تسليم الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم: فقد أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» (٢٢٧٧) قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يحيى بن أبي بُكير، عن إبراهيم بن طهمان حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلِّم عَلَيَّ قبل أن أُبعث، وإني لأعرفه الآن».

وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/٣٨٥) ح(٣٢٣٠٣)، وأحمد في «المسند» ح(٢٠٧٩٠)، (٢٠٧٢٠)، والترمذي (٣٦٢٤)، والدارمي (ح٢٠)، وابن حبان (٦٤٨٢)، والطيالسي (١٩٠٧)، والطبراني في «الكبير» (ح١٩٠٧، ١٩٦١، ٢٠٢٨)، وكذلك في «الأوسط» (ح٢٠٣٣)، وفي «الصغير» (١/٦٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/١٥٣) من طريق سِمَاك بن حرب به.

٢- قصة: حنين الجذع:

أ- أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٢٠٩٥) قال: حدثنا خلاد بن يحيى، حدثنا عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن امرأةً من الأنصار قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئًا تقعد عليه؟ فإن لي غلامًا نجارًا، قال: «إن شئتِ» قال: فعملتْ له المنبر، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر الذي صنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت تنشق، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يُسَكَّتُ حتى استقرت قال: «بكت على ما كانت تسمع من الذكر». اهـ.

ب- وأخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٣٥٨٤) قال: حدثنا أبو نعيم، حدثنا عبد الواحد بن أيمن به، وفيه: «فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمه إليه، يئن أنين الصبي الذي يسكن، قال: «كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر».

جـ- وأخرجه أيضًا الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٣٥٨٥) قال: حدثنا إسماعيل قال: حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال: أخبرني حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: «كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكنت». اهـ.

فائدة: «حدثنا إسماعيل»: هو ابن أبي أوس، وأخوه: هو أبو بكر، ويحيى بن سعيد هو الأنصاري، وروايته عن حفص من رواية الأقران؛ لأنه في طبقته.

د- ولقد بوَّب الإمام البيهقي في كتابه «دلائل النبوة» (٦/٦٦) بابًا ترجم له بقوله: «باب: ما جاء في حنين الجذع الذي كان يخطب عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاوزه إلى المنبر، وفي ذلك دلالة ظاهرة من دلالات النبوة».

ثم قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو علي حامد بن محمد الهروي، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو نعيم، حدثنا عبد الواحد أيمن، حدثني أبي عن جابر... الحديث.

ملحوظة:

نلاحظ أن الإمام البيهقي أخرج هذا الحديث من إسناده لنفسه، فاجتمع مع الإمام البخاري في شيخه أبي نعيم وهو الفضل بن دُكين الكوفي واسم دكين عمرو بن حماد بن زهير، وهو ثقة ثبت وهو من كبار شيوخ البخاري كذا في «التقريب» (٢/١١٠)، و«تهذيب الكمال» (١٥/٦٢/٥٣١٨).

لذلك صرح الإمام البيهقي بعد انتهاء سياق الحديث

بعزوه إلى الإمام البخاري؛ حيث قال: «رواه البخاري في الصحيح عن أبي نعيم». اهـ.

قلت: وهذا هو منهج المحدثين في «المستخرجات»، حيث قال الإمام السخاوي في «فتح المغيث» (٤٧/١): «ثم إن أصحاب المستخرجات غير منفردين بصنعهم، بل أكثر المخرجين للمشيخات، والمعاجم، وكذا للأبواب، يوردون الحديث بأسانيدهم ثم يصرحون بعد انتهاء سياقه بعزوه إلى البخاري أو مسلم أو إليهما معًا مع اختلاف الألفاظ وغيرها يريدون أصله». اهـ.

وقد يتساءل القارئ الكريم عن المستخرج:

قال الحافظ العراقي في «فتح المغيث» (ص١٨): «المستخرج موضوعه: أن يأتي المصنف إلى كتاب البخاري ومسلم فيجمع إسناد المصنف مع إسناد البخاري أو مسلم في شيخه أو من فوقه».

قلت: وهذا هو منهج الإمام البيهقي في «دلائل النبوة» طبَّقه على أحاديث باب «ما جاء في حنين الجذع...» مما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ولولا خشية الإسهاب لبينت اجتماع إسناد البيهقي مع إسناد البخاري في شيخه أو من فوقه في جميع أحاديث هذا الباب، والذي ختمه الإمام البيهقي فقال: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: أخبرني أبو أحمد بن أبي الحسن أنبانا عبد الرحمن يعني ابن محمد بن إدريس الرازي، قال: قال أبي قال عمرو بن سوَّاد قال لي الشافعي - رحمه الله -: ما أعطى الله - عز وجل - نبيًا ما أعطى محمدًا صلى الله عليه وسلم: الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه حتى هُيِّئ له المنبر حنَّ الجذع حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذاك». اهـ.

قلت: وقول الشافعي «فهذا أكبر من ذاك» يفسره ما أخرجه ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي، ونقله الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦٩٨/٦) قال: «وقد نقل ابن أبي حاتم في «مناقب الشافعي» عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعي قال: «ما أعطى الله نبيًا ما أعطى محمدًا، فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، قال: أعطى محمدًا حنين الجذع حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذلك». اهـ.

قلت: وهذا سند ثابت لأئمة ثقات حفاظ.

١- عمرو بن سواد، بتشديد الواو، ابن الأسود بن عمرو العامري أبو محمد البصري ثقة، روى عن محمد بن إدريس الشافعي وغيره، وروى عنه أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي وغيره، وتوفي يوم الجمعة لعشر بقين من رجب سنة خمس وأربعين ومائتين». اهـ. كذا في «تهذيب الكمال» (٤٩٦٥/٢٤١/١٤).

٢- قال الإمام الذهبي في «تذكرة الحافظ» (٥٩٢/٥٦٧/٢): «الإمام الحافظ الكبير: محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أحد الأعلام ولد سنة خمس وتسعين ومائة.. وتوفي أبو حاتم في شعبان سنة سبع وسبعين ومائتين وله اثنان وثمانون سنة». اهـ.

٣- الشافعي:

قال الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٣٥٤/٣٦١/١): «الشافعي الإمام العلم حبر الأمة: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي المطلبي الشافعي المكي نسيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وناصر سنته، وُلد سنة خمسين ومائة بغزة، فحُمل إلى مكة لما فطم فنشأ بها، قال إسحاق بن راهويه: قال لي أحمد بن حنبل بمكة: تعالى حتى أريك رجلاً لم تر عيناك مثله، فأقامني على الشافعي.

ثم قال الإمام الذهبي بعد أن ذكر الشافعي في «التذكرة» في ثلاثة وثلاثين سطرًا، قال: «مناقب الشافعي لا يحتملها هذا المختصر، وكان حافظًا للحديث، بصيرًا بعلله، لا يقبل منه إلا ما ثبت عنده، ولو طال عمره لازداد منه، توفي أول شعبان سنة أربع ومائتين بمصر، وكان قد انتقل إليها سنة تسع وتسعين ومائة، رحمه الله». اهـ.

قلت: فهذا سند قول الإمام الشافعي: «ما أعطى الله نبيًا ما أعطى محمدًا... أعطى محمدًا حنين الجذع حتى سمع صوته».

فأين قصة الضب المكذوبة الباطلة، من قصة «حنين الجذع» الثابتة الصحيحة بل المتواترة.

فقد أورد الإمام المحدث أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني حديث «حنين الجذع» في كتابه «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» ج(٢٦٣) قال: «حنين الجذع» قال القاضي عياض في «الشفا» أمره مشهور منتشر والخبر به متواتر أخرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر، وقال الحافظ ابن حجر في أماليه: طرقه كثير، قال البيهقي: أمره ظاهر، نقله الخلف عن السلف وإيراد الأحاديث فيه كالتكلف يعني لشدة شهرته، وهو كما قال فقد وقع لنا من حديث:

١- عبد الله بن عمر.
٢- وعبد الله بن عباس.
٣- وأنس.
٤- وجابر.
٥- وسهل بن سعد.
٦- وأُبَيّ.
٧- وأبي سعيد.
٨- وبرّة.
٩- وعائشة.
١٠- وأم سلمة.

ثم ذكر أحاديثهم كلها فانظره، وقال في «فتح الباري»: حديث حنين الجذع، وانشقاق القمر نُقل كل منهما نقلاً مستفيضًا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك، والله أعلم». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

الفروق الفقهية بين الأذان والإقامة



دراسة فقهية مقارنة

الحلقة الرابعة

إعداد/ د. إبراهيم بن مبارك السناني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

الفرق بين الأذان والإقامة في مكان الأداء

يستحب أن يؤذن على مكان مرتفع، أما الإقامة فلا تحتاج إلى مكان عالٍ بالاتفاق. [بدائع الصنائع ١٤٩/١].

الجامع بين المسألتين: أن كلاً منهما إعلام.

الفرق بين المسألتين:

١- ما ورد من حديث ابن عمر وفيه: «ولم يكن بينهما إلا أن ينزل هذا ويرقى هذا». ولم يرد مثل ذلك في الإقامة.

٢- أن الأذان في مكان عالٍ أبلغ لتأدية الصوت وحصول الإعلام.

بخلاف الإقامة فإنها لاستفتاح الصلاة واستنهاض الحاضرين؛ فافترقا.

وبناء عليه يكون الفرق صحيحًا.

الفرق بين الأذان والإقامة في الأداء في أول الوقت

يستحب أن يؤذن أول الوقت، ويؤخر الإقامة إلى خروج الإمام للصلاة.

الجامع بين المسألتين: أن كلاً منهما مؤقت.

الفرق بين المسألتين:

١- ما ورد من النص في حديث ابن سمرة قال: «كان بلال لا يؤخر الأذان عن الوقت، وربما أخر الإقامة شيئًا». [ابن ماجه برقم (٧١٣)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٢٠/١)].

٢- أن الأذان لأجل أن يأخذ الناس أهبتهم للصلاة، بخلاف الإقامة فإنها للقيام للصلاة.

٣- أن وقت الأذان منوط بنظر المؤذن، ولا يحتاج فيه إلى مراجعة الإمام، والإقامة منوطة بنظر الإمام فلا يقيم إلا بإذنه.

وبناءً عليه يكون الفرق صحيحًا.

الفرق بين الأذان والإقامة في جنس مؤديهما

يكره للمرأة أن تؤذن، ويسن لها أن تقيم عند الشافعية في قول، والمالكية في رواية، خلافًا للشافعية في قول؛ حيث قالوا: بجواز الأذان والإقامة لهن، وكذا الحنابلة حيث قالوا: فإن فعلن فلا بأس.

الجامع بينهما: أن كلاً منهما مسنونة للصلاة.

الفرق بين المسألتين:

١- أن الأذان يشرع له رفع الصوت للإبلاغ والإعلام، ولا يحصل ذلك إلا برفع الصوت، ويخاف الافتتان بصوت المرأة إذا أذنت فلم يستحب لها الأذان، بخلاف الإقامة في ذلك.

٢- أن الإقامة لاستفتاح الصلاة واستنهاض

الحاضرين، وليس فيها رفع صوت، فاستوى فيها الرجل والمرأة كاستفتاح الصلاة بعد الإحرام، وبناء عليه يكون الفرق صحيحًا.

الفرق بين الأذان والإقامة في حق المنفرد

تسن الإقامة للمنفرد، ولا يسن الأذان له في قول الشافعية في القديم، ومالك، وأبي حنيفة.

ويسن الأذان للمنفرد في قول الشافعي الجديد، ومالك في رواية، وأحمد.

الجامع بين المسألتين: أن كلاً منهما مسنون للصلاة.

الفرق بين المسألتين:

أن الأذان دعاء إلى الصلاة وإيذان بوجوبها وسنته الجماعة الراتبة، وهذا معدوم في حق المنفرد، بخلاف الإقامة فإنها عَلَم على الشروع في الصلاة، فشرعت مع كل صلاة واجبة فلا تسقط في حق المنفرد.

دليل القول بأن الأذان يسن للمنفرد:

ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي سعيد رضي الله عنه: «إنك رجل تحب الغنم والبادية، فإذا دخل عليك وقت الصلاة، فأذن وارفع صوتك، فإنه لا يسمع صوتك حجر ولا شجر، ولا مدر إلا شهد لك يوم القيامة».

دليل القول بأن الأذان لا يسن للمنفرد: أن المقصود من الأذان الإبلاغ والإعلام، وهذا لا ينتظم في المنفرد.

الفرق بين الأذان والإقامة في الحضر والسفر

لو اقتصر المسافر على الإقامة أجزأه، وإن تركها كان مسيئًا، والمقيم إذا ترك الأذان والإقامة وصلى وحده، اكتفاءً بأذان الناس وإقامتهم لا يكون مسيئًا عند الحنفية، والمالكية في قول، والشافعي في القديم، خلافًا للمالكية في قول، حيث قالوا: لا تجزئه إقامتهم، وكذا أبو حنيفة، والشافعي في قوله الآخر، وخلافا لأحمد حيث قال: يجزئ عنه الأذان لا الإقامة. [المغني: ٢/ ٧٤].

الجامع بين المسألتين: أن كلاً منهما مشروع للصلاة.

الفرق بين المسألتين:

١- أن الإقامة سُنة تقوم بها الجماعة، فإذا لم يوجد ها هنا من يقوم بها توجهت عليه، كما لو وجد ميتًا وحده في المفازة فعليه دفنه، بخلاف ما لو كان معه جماعة، وكذلك إذا سلم عليه إنسان لزمه الإجابة.

وليس كذلك المقيم، لأن هذه سنة يقوم بها الجماعة، وقد وجد هاهنا من يقوم به؛ لأن الناس يؤذنون في المساجد ويقيمون فلا يكون هو مأمورًا بها كما لو وجد ميتًا في المصر ووجد من يواريه ويقوم بتجهيزه ودفنه فإنه لا يكون بتركه آثمًا، كذلك هذا.

٢- أن أذان المؤذن في المصر وقع لجماعة، ولإخبار الناس؛ لأنه أمر بأن يصلي معهم، وإذا وقع له لم يحتج إلى الإعادة كما لو خرج إلى المسجد، ولا يقع لجماعة أخرى، بدليل أنهم لا يؤمرون بالخروج إلى ذلك المسجد فلا يقع لهم فأمروا به.

وأما المسافر فأذان أهل المصر لم يقع له بدليل أنه لا يؤمر بالعودة إلى المصر ليصلي مع الناس، وإذا لم يقع له احتاج إلى فعله كالجماعة في المصر.

وحجة من قال بعدم مشروعية الأذان للمنفرد: ما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للذي علمه الصلاة: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر». [أخرجه البخاري: ٦٢٥١]. وفي لفظ: «ثم كبر».

وجه الدلالة منه: أنه لم يأمره بالأذان.

وبناء عليه يكون الفرق صحيحًا.

الفرق بين الأذان والإقامة في الكلام فيهما

المستحب للمؤذن ألا يتكلم في أذانه، فإن تكلم فيه يسيرًا بنى على أذانه عند الجمهور والشافعية في وجه، خلافًا للشافعية في وجه آخر، حيث قالوا: يستأنف، وكذا إن كان الكلام كثيرًا عند الجمهور.

وإن تكلم في الإقامة بطلت في قول الزهري، وقال الحنابلة: لا ينبغي أن يتكلم فيها، خلافا للشافعي؛ حيث ذهبوا إلى أنها لا تبطل.

الفروق بين المسألتين:

أن الأذان يُشرع له الترسل فلم يبطل بيسير الكلام، بخلاف الإقامة فإنه يستحب حدرها، وألا يفرق بين كلماتها فافترقا.

والله الموفق.

١- نقلاً عن مجلة البحوث الإسلامية بتصرف

دلائل عظمة القرآن

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فما يزال حديثنا متصلاً حول دلائل عظمة القرآن.

تفضل الله بإنزال القرآن:

من مظاهر عظمة القرآن الكريم أن الله تعالى أثنى على نفسه الشريفة لتفضله بإنزاله، وعلَّم عباده أيضا كيف يثنون عليه تعالى من أجل إنزال الكتاب فقال: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾» [الكهف: ١].

من أسباب هذا الثناء

أمَّا لماذا تفضل الله عز وجل، ولماذا وجب الحمدُ؟

فهو ما يوضحه الشنقيطي رحمه الله بقوله: «علم الله جل وعلا عباده في أول هذه السورة الكريمة أن يحمدوه على أعظم نعمة أنعمها عليهم وهي إنزاله على نبينا صلى الله عليه وسلم هذا القرآن العظيم، الذي لا اعوجاج فيه، بل هو في كمال الاستقامة، أخرجهم به من الظلمات إلى النور، وبيّن لهم فيه العقائد، والحلال والحرام، وأسباب دخول الجنة والنار، وحذرهم فيه من كل ما يضرهم، وحضهم فيه على كل ما ينفعهم، فهو النعمة العظمى على الخلق، ولذا علمهم ربُّهم كيف يحمدونه على هذه النعمة الكبرى». [أضواء البيان ٤/٣].

والله عز وجل «يحمد نفسه المقدسة عند فواتح الأمور وخواتمها، فإنه المحمود على كل حال، وله الحمد في الأولى والآخرة». [ابن كثير ٥/١٤١].

وإذا كان من دواعي تفضله تعالى كونه أنزل الكتاب مستقيمًا لا عوج فيه، فإن من الدواعي أيضًا كونه نذيرًا، ومن أنذرك فقد حذرك، ومن حذرك وقاك من الخطر.

«تبارك» من البركة. أي: تقدس الله ربنا، والبركة كثرة الخير وزيادته.

وفي كلمة (تبارك) معنيان:

١- تزايد خيره وتكاثره، وهو المراد من قوله تعالى: «وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ» [إبراهيم: ٣٤].

٢- تزايد عن كل شيء، وتعالى عنه في ذاته وصفاته وأفعاله، وهو المراد من قوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى:١١]، وأصل لفظ (تبارك): يدل على البقاء، وهو مأخوذ من بروك البعير، ومن بروك الطير على الماء، وسميت البركة بركة لثبوت الماء فيها، والمعنى: أنه سبحانه وتعالى باقٍ في ذاته أزلاً وأبدًا ممتنع التغيرُّ، وباقٍ في صفاته والمبقي لها، وجب وصفه سبحانه بأنه تبارك وتعالى. [التفسير الكبير ٢٤/٣٩، وتفسير البيضاوي ٤/٢٠٥].

فمعنى (تبارك): تعاظم وكَمُلَت أوصافُه، وكثرت خيراته، والتي أعظمها وأفضلها أن نزل هذا الفرقان، الفارق بين الحلال والحرام، والهدى والضلال، وأهل السعادة من أهل الشقاوة. [تفسير السعدي ٣/٤٢٥].

اقتران أسماء الله بتنزيل القرآن:

فمن مظاهر ودلائل عظمة القرآن العظيم أن الله تعالى عَرَّف ببعض أسمائه الحسنى ذات الأثر البالغ في حياة العباد عند الحديث عن تنزيل القرآن، ليكون إقبالُهم على الكتاب المنزل إقبالَ من يعرف قدره ويدرك شأنه وعظمته ويعلم أن من أنزله يملك تنفيذ وعده ووعيده،

فمن ذلك قوله تعالى: «حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣» [فصلت:١ - ٣].

وقوله تعالى: «وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ» [فصلت:٤١-٤٢].

قال الشنقيطي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: «تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢» [الجاثية:٢]: «دل استقراء القرآن العظيم على أن الله عز وجل إذا ذكر تنزيله لكتابه، أتبع ذلك ببعض أسمائه الحسنى، المتضمنة صفاته العليا، ففي أول هذه السورة الكريمة، ولما ذكر تنزيله كتابه، بَيَّنَ أن مبتدأ تنزيله كائن منه جل وعلا، وذكر اسمه الله واسمه العزيز، والحكيم، وذكر مثل ذلك في أول سورة الجاثية، في قوله: «حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣» [الجاثية:١ - ٣]، وفي أول سورة الأحقاف في قوله تعالى: «حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ» [الأحقاف:١- ٣]، وقد تكرر كثيرًا في القرآن ذِكْرُهُ بعض أسمائه وصفاته، بعد ذكر تنزيل القرآن العظيم، ولا يخفى أن ذكرهُ جل وعلا هذه الأسماء الحسنى العظيمة، بعد ذكره تنزيله هذا القرآن العظيم، يدل بإيضاح على عظمة القرآن العظيم وجلالة شأنه وأهمية نزوله. [أضواء البيان: ٤١/٧، ٤٢].

بمعنى: أن عظمة القرآن من عظمة هذه الأسماء الحسنى، والتي ينعكس من جلالها على هذا القرآن ما يجعله وحده (الكتاب)، والكتابُ لا ريب فيه.

نزوله في أفضل الأزمنة

الأزمان ليس لها شأن في ذاتها، وإنما هي بما ينزل فيها، وما يحدث، ومن مظاهر عظمة القرآن العظيم أن الله تعالى نَزَّله في أفضل الأزمنة في شهر رمضان المبارك، قال الله تعالى: «شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ» [البقرة:١٨٥].

وقد نـزل في ليلة مباركة من هذا الشهر المبارك، قال الله تعالى: «إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤» [الدخان:٣]، وهذه الليلة المباركة هي ليلة القدر والشرف والرفعة التي قال فيها: «إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣» [القدر:١ - ٣].

وفي ضمير العظمة وإسناد الإنـزال إليه تشريف عظيم للقرآن. [التحرير والتنوير ٤٠٢/٣٠].

فبركة الليلة التي أنـزل فيها القرآن بركة قدرها الله لها قبل نـزول القرآن ليكون القرآن بابتداء نزوله فيه مُلابسًا لقوت مبارك فيزداد بذلك فضلاً وشرعًا، وهذا من المناسبات الإلهيات الدقيقة التي أنبأنا الله ببعضها. [المصدر السابق].

وسميت ليلة القدر بهذا الاسم؛ لأن قدرها وشرفها عند الله عظيم، ومعلوم أن قدرها وشرفها ليس بسبب ذلك الزمان، لأن الزمان شيء واحد في الذات والصفات فيمتنع أن يكون بعضه أشرف من بعض لذاته فثبت أن قدره وشرفه بسبب أنه حصل فيه أمور شريفة عالية، لها قدر عظيم، ومرتبة رفيعة، ومعلوم أن منصب الدِّين أعلى وأعظم من منصب الدنيا، وأعلى الأشياء وأشرفها منصبًا في الدين هو القرآن، لأجل أن به ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل في سائر كتب الله المنزلة وبه ظهرت درجات أرباب السعادات، ودركات أرباب الشقاوات فعلى هذا لا شيء إلا والقرآنُ أعظم قدرًا، وأعلى ذكرًا وأعظم منصبًا منه. [التفسير الكبير ٢٠٣/٢٧- ٢٠٤].

نزوله بأرقى اللغات وأجمعها:

لقد اختار اللهُ عز وجل اللغة العربية لتكون لغة آخر كتبه، وهذا الاختيار من الحق عز وجل - لهذه اللغة العظيمة إنما يعود إلى ما تمتاز به من مرونة واتساع وقدرة على الاشتقاق، والنحت والتصريف، وغنىً في المفردات والصِّيغ والأوزان، فكل دارس للغات العالم يُقرُّ بأن اللغة العربية هي أرقى اللغات وأجمعها للمعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة وأحسنها تهذيبًا، وأكثرها إيضاحًا وبيانًا للمطلوب، وهذا يدل على عظمة القرآن أنه نـزل بأشرف اللغات وأرقاها؛ اللغة العربية.

ولذلك أشار القرآن العظيم بها في عدة آيات منها:

قوله تعالى: «إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ

تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾» [الزخرف:٣-٤].
وقوله تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾» [يوسف:٢].
وقوله تعالى: «وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا» [الرعد:٣٧]، وقوله تعالى: «وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا» [طه:١١٣]. وغيرها كثير من الآيات التي أشارت إلى نزول هذا القرآن باللغة العربية.

وإن سأل سائل فقال: لماذا أنزل القرآن العظيم باللغة العربية دون غيرها من لغات العالم: فجوابه فيما يلي: لقد «أراد الله تعالى أن يكون القرآن كتابًا مخاطبًا به كل الأمم في جميع العصور، لذلك جعله بلغة هي أفصحُ كلام بين لغات البشر وهي اللغة العربية لأسباب منها: أن تلك اللغة أوفرُ اللغات مادة، وأقلها حروفًا، وأفصحها لهجة وأكثرها تصرفًا في الدلالة على أغراض المتكلم، وأوفرُها ألفاظًا، وجعلهُ جامعًا لأكثر ما يمكن أن تتحمله اللغة العربية في نظم تراكيبها من المعاني، في أقل ما يسمع به نظم تلك المعاني، فكان قوام أساليبه جاريًا على أسلوب الإيجاز فلذلك كثرُ فيه ما لم يكثر مثله في كلام بلغاء العرب. [التحرير والتنوير: ١/٩٥، ٩٦].

فجاء القرآن على أسلوب أبدع مما كانوا يعهدون وأعجب فأعجز بلغاء المعاندين عن معارضته، ولم يسعهم إلا الإذعان سواء في ذلك من آمن منهم مثل: لبيد بن ربيعة وكعب بن زهير والنابغة الجعدي ومن استمر على كفره عنادًا، مثل الوليد بن المغيرة وإذا قيس اللسان بمقاييس علم الألسنة فليس من اللغات لغة أوفى منه بشروط اللغة في ألفاظها، وقواعدها ويحق لنا أن نعتبر أنها أوفى اللغات جميعها، بمقياس بسيط واضح لا خلاف عليه وهو مقياس جهاز النطق في الإنسان فإن اللغة العربية تستخدم هذا الجهاز الإنساني على أتمه وأحسنه ولا تهمل وظيفة واحدة من وظائفه، كما يحدث ذلك في أكثر الأبجديات اللغوية فلا التباس في حرف من حروفها بين مخرجين ولا في مخرج من مخارجها بين حرفين وقد تشاركها اللغات في بعض هذه المزايا ولكنها لا تجمعها كما جمعها، ولا تفوقها في واحدة منها. [التحرير والتنوير (١/٩١)].

قال ابن فارس: «قال بعض الفقهاء: كلام العرب لا يحيط به إلا نبي، وهذا كلام حريٌّ أن يكون صحيحًا، وما بلغنا أن أحدًا ممن مضى ادعى حفظ اللغة العربية كلها».

وللحديث بقية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إشهار

تم بحمد الله تعالى إشهار الفروع التالية:

١ - جمعية أنصار السنة المحمدية فرع السيوف بالإسكندرية، تحت رقم (٢٩١٥) وذلك اعتبارًا من تاريخ ٢٠١٢/١/٥م.

٢ - جمعية أنصار السنة المحمدية فرع أبو عبد الله سيدي سالم، تحت رقم (١٧٢)، وذلك اعتباراً من ٢٠١٢/٣/١م طبقًا لأحكام القانون رقم ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجمعيات والمؤسسات.

والله الموفق.

وقفات شرعية مع تطبيق الشريعة الإسلامية

الشبهات المثارة حول أحاديث الرجم

الحلقة التاسعة

إعداد / المستشار أحمد السيد علي

الحمد لله حمدًا لا ينفد أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد..

أما بعد... فما يزال الحديث موصولاً عن الرد على الشبهات المثارة على حد الرجم، ونستعرض الشبهات المثارة على أحاديث الرجم، ونرد عليها بالتفصيل- إن شاء الله-.

الحديث الأول: حديث يحيي بن سعيد: «عن سعيد بن المسيب أنه سمعه يقول لما صدر عمر بن الخطاب من منى أناخ بالأبطح ثم كوم كومة بطحاء، ثم طرح عليها رداءه واستلقى ثم مد يديه إلى السماء فقال: اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط، ثم قدم المدينة فخطب الناس فقال: أيها الناس قد سُنَّت لكم السنن، وفُرِضَتْ لكم الفرائض وتُركتم على الواضحةَ إلا أن تضلوا بالناس يمينًا وشمالاً، وضرب بإحدى يديه على الأخرى، ثم قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، أن يقول قائل: لا نجد حدين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا، والذي نفسي بيده: لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى لكتبتها (الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة) فإنا قد قرأناها. قال مالك: قال يحيى بن سعيد قال سعيد بن المسيب فما انسلخ ذو الحجة حتى قُتل عمر رحمه الله. [رواه مالك في الموطأ].

قال يحيى بن يحيي: سمعت مالكًا يقول: قوله الشيخ والشيخة يعني الثيب والثيبة فارجموهما ألبتة».

الشبهات المثارة حول هذا الحديث:

الشبهة الأولى:- قال: إن سعيد بن المسيب كان عمره عامين فقط حين قُتل عمر بن الخطاب، فكيف يروى طفل يحبو عن عمر بن الخطاب، إذن يستحيل أن يكون سعيد بن المسيب راويًا لهذا الحديث عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب.

الشبهة الثانية:- قال يستحيل أن

يقول عمر بن الخطاب هذا الكلام؛ لأن معناه أن عمر بن الخطاب يتهم القرآن الكريم بأنه تم التلاعب فيه، وهذا يعد كفرًا بقوله تعالى: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ » [الحجر: ٩].

الشبهة الثالثة:- قال: إن لفظ «شيخ» تأتي في القرآن بمعنى الرجل الكبير الطاعن في السن، أما لفظ «الشيخة» فهو خاطئ، فالمرأة كبيرة السن لا تسمى به، وإنما تسمى «عجوز»، قال تعالى: «قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾» [هود: ٧٢]، كما أن مصطلح الشيخ والشيخة لا يفيد الإحصان أو المحصن والمحصنة، فقد يصل الإنسان إلى مرحلة الشيخوخة دون زواج أو إحصان.

الشبهة الرابعة:- قال: وهناك ما هو أخطر في هذا الحديث أنه يتهم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بالترويج للأحاديث، ويتهم النبي عليه الصلاة والسلام بأنه ترك آية قرآنية لم يكتبها، ويزعم أن عمر بن الخطاب هو الذي سنّ السنن ويفرض الفرائض، ويترك الناس على السنة الواضحة، وأنه مثل النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس حجة الوداع قبل موته، ويوصيهم ولكن بحديث الرجم، ويقول ذلك في صورة دفاعية مسبقة تنبئ عن وجود جدل حول موضوع الرجم، لذلك جعلوا عمر بن الخطاب في هذه الرواية يتصدى لمنكري حديث الرجم حتى لا يقول قائل: لا نجد حدين في كتاب الله، ثم يذكر العبارة الركيكة (الشيخ والشيخة إذا زنيا) ويجعلها آية قرآنية، كما لو أن الله تعالى لم يذكر في كتابه الكريم قبيل وفاة النبي واكتمال القرآن: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا » [المائدة: ٣].

الشبهة الخامسة:- قال:- لا تخلو الرواية من التناقض في قوله: «لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله لكتبتها»، فكيف يعتبرها آية ثم يعتدها زيادة في كتاب الله يمتنع عن إضافتها إلى القرآن؟!.

الرد على هذه الشبهات:-

الرد على الشبهة الأولى:- يرد عليها بجواب الشيخ الشريف حاتم على أسئلة رواد ملتقى أهل الحديث بشأن سماع سعيد بن المسيب من عمر بن الخطاب، فأجاب:

«صح عن سعيد بن المسيب أنه وُلد لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أي أنه ولد سنة (١٥). وعمر رضي الله عنه توفي سنة (٢٣)، أي وسن سعيد حينها (٨) أعوام.

وقد نفى عامة أهل العلم أن يكون قد سمع كل ما رواه عن عمر رضي الله عنه، مع إثبات عدد منهم له رؤية وسماعًا مجملاً من عمر في بعض الحوادث، كنعيه النعمان بن مقرن، وغير ذلك

لكن يبقى أن مرويات سعيد بن المسيب عن عمر، وخاصة لفتاواه وأقضيته كثيرة جدًا،لا يُتصور أن يكون ابن ثمان سنين قد سمع ووعى ذلك كله عن خليفة المسلمين عمر رضي الله عنه.

لذلك كان لا بد من الإقرار بأن سعيدًا سمع القليل من عمر رضي الله عنه، وأن أكثر مروياته عنه لم يسمعها منه. ومع ذلك يقول الإمام أحمد، وقد سئل: سعيد عن عمر حجة؟ فقال:

(هو عندنا حجة، قد رأى عمر وسمع منه، وإذا لم يُقبل سعيد عن عمر فمن يقبل؟!!).

وقال أبو حاتم الرازي: (حديثه عن عمر مرسل، ويدخل في المسند على المجاز)، يعني على التجوز والتساهل. وعبارة أبي حاتم تفسر عبارة الإمام أحمد، وأنه لم يكن يقصد تصحيح سماع سعيد من عمر رضي الله عنه في كل ما رواه عنه، وإنما قصد قبول حديثه عنه لقرائن وأسباب احتفت بروايته عنه.

ومن هذه القرائن:

- أن سعيد بن المسيب من كبار التابعين.
- وأنه أعلم التابعين (كما أطلق ذلك غير واحد من الأئمة)، أو من أعلمهم.
- أنه مدني، وحديث أهل المدينة (وخاصة في تلك الطبقة) أنقى حديث أهل الأمصار، وأبعده عن العلل والتزيد: المقصود وغير المقصود.
- وأنه لا يحدث إلا عن الثقات.
- وأن مراسيله عن النبي صلى الله عليه وسلم أصح المراسيل، فكيف عن أصحابه؟!

وكيف عمن أدركه وسمع منه شيئًا؟

- أن مراسيله عن النبي صلى الله عليه وسلم سُبرت فما وُجد فيه ما لا يقبل، إلا الشيء القليل الذي لا يخفى على أهل العلم.

- ويضاف إلى ذلك كله أنه كان أعظم الناس عناية بجمع علم عمر رضي الله عنه، من المرويات والفتاوى. يقول يحيى بن سعيد الأنصاري: «إن ابن المسيب كان يسمى راوية عمر بن الخطاب، لأنه كان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته». وقال مالك، وسئل عن سعيد: هل أدرك عمر؟ فقال: «لا، ولكنه وُلد في زمان عمر، فلما كبر أكبَّ على المسألة عن شانه وأمره، حتى كأنه رآه. وبلغني أن عبد الله بن عمر كان يرسل إلى ابن المسيب يسأله عن بعض شأن عمر وأمره».

فلهذه القرائن ولغيرها خصت مراسيل سعيد عن عمر بالقبول، وهذا حق، فإن لم يقبل سعيد عن عمر فمن يقبل؟! لكن يبقى أن كون أكثر مروياته عن عمر رضي الله عنه مرسلة داعيا لعدم الاعتداد بها والاعتماد عليها كاعتدادنا واعتمادنا على المتصل الصحيح، ولا بد من مراعاة كل رواية، وما يحتف بها من قرائن الرد: كالمخالفة أو النكارة والشذوذ. وهذا أمر عسير جدًا، لا يدخل غماره إلا من له قدم صدق راسخة في علم الحديث.

الرد على الشبهة الثانية:-

وذلك من ناحيتين: الأولى: يرى البعض أن مناسبة إيراد عمر قصة الرجم أنه أشار بقصة الرجم إلى زجر من يقول: لا أعمل في الأحكام الشرعية إلا بما وجدته في القرآن. قال الزرقاني في شرحه على الموطأ: «والذي يظهر أنه ليس مراد عمر هذا الظاهر، وإنما مراده المبالغة والحث على العمل بالرجم؛ لأن معنى الآية باقٍ وإن نُسخ لفظها إذ لا يسع مثل عمر مَع مزيد فقهه تجويز كتبها مع نسخ لفظها».

وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور يورد الرواية بشكل أفضل فيقول:وأخرج أحمد والنسائي عن عبد الرحمن بن عوف أن عمر بن الخطاب خطب الناس فسمعته يقول: ألا وإن ناسًا يقولون: ما بال الرجم..! وفي كتاب الله الجلد، وقد رجم النبي صلى الله عليه وسلم، ورجمنا بعده ولولا أن يقول قائلون، ويتكلم متكلمون: أن عمر زاد في كتاب الله ما ليس منه لأثبتها كما نزلت".

فمن هذا يتضح جليًا بأن عمر أمير المؤمنين لا يعتبرها آية من كتاب الله.

وربما يسأل السائل ويقول: ها هو عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يقول: إنها آية. فلماذا تنكرون وتدافعون عن قوله؟ والجواب: أن الخليفة أمير المؤمنين هنا (وأعتقد أن الصحابة أيضًا) كانوا يعتقدون ويجزمون أن كل ما ينزل من الله إن كان قرآنًا متلوًا أو حديثًا قدسيًا أو حديثًا نبويًا أو شرعًا من الله، فهو آية ومعجزة، وهذا حق ومنطق معقول، فإن الأحكام النازلة من الله على لسان الرسول وهي ليست قرآنًا متلوًا فهي تعتبر آية: أي إعجاز إلهي في تشريعه وحكمه، فكل ما يأمر به الله وإن لم يكن في الكتاب المنزل المتلو فهو آية منه. والله اعلم

الثانية: يرى البعض الآخر «أ.د/ سامي هلال»: أن عمر ـ رضي الله عنه ـ لم يجد الآية مكتوبة عند أحد من الصحابة حيث كانا يشترطان ـ أي عمر وزيد «رضي الله عنهما» لكتابة الآية أن تكون كتبت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وتكون مكتوبة ـ على الأقل ـ عند اثنين من الصحابة، أو شاهدان يشهدان أنها كُتبت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يجدها عمر ـ رضي الله عنه ـ مكتوبة عند أحد من الصحابة ـ لأنه قد اختل ما اشترطوه من كتابة الآية عند اثنين ـ فقال مقولته: لولا أن يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله...، ولو كانوا يشترطون الحفظ لكفى بأبي بكر وعمر وزيد ونفر من الصحابة لكتابة المصحف... والله أعلم.

وإلى أن نلتقي في العدد القادم للرد على بقية الشبهات نستودعكم الله تعالى والحمد لله رب العالمين.

طوبى للشام

إعداد/ شوقي عبد الصادق

الحمد لله يخلق ما يشاء ويختار، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، والصلاة والسلام على المصطفى المختار صلاة دائمة ما تعاقب الليل والنهار، وبعدُ:

لقد خلق الله سبحانه الأرض بقدرته، واصطفى ما شاء من بقاعها، فبارك فيها، وبعث فيها أنبياء وأنزل فيها كتبه، وكان من تلك البقاع المباركة: الشام، وللشام فضائل عدة في الشرع، فمن ذلك:

أولاً: ثناء الله ورسوله ﷺ على الشام:

قال الله تعالى: «وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾» [الأنبياء:٧١]. قال قتادة: كانا بأرض العراق فأنجيا إلى أرض الشام، وهي أرض المحشر والمنشر، وفيها ينزل عيسى ابن مريم، وبها يهلك الدجال. [الدر المنثور: ١٠/٢٩٨].

وعن أبي بن كعب قال: هي الشام، وما من ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس، ثم تفرق في الأرض. [الطبري: ١٦/٣١١].

وقال تعالى: «وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ» [يونس:٩٣]. قال قتادة: بوأهم الله الشام وبيت المقدس، أو هي بلاد مصر والشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه. [ابن كثير: ٢/٥٨٣].

وقال القاسمي: «التي بارك فيها للعالمين» هي الشام، وهي مبعث الأنبياء ومهبط الوحي، وكفاتهم أحياء وأمواتاً.

وأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الشام، فعن زيد بن ثابت قال: «طوبى للشام». فقلنا: لأي ذلك يا رسول الله؟ قال: لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها. [سنن الترمذي: ٣٩٥٤، وصححه الألباني].

ومعنى «طوبى»: أي الحسنى والخير، والملائكة باسطة أجنحتها على الشام بالخير والبركة والرحمة، وليس بالعذاب والدمار، وليس كما قالت - الملائكة - لإبراهيم عليه السلام: «إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ» [العنكبوت:٣١].

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام». [صححه الألباني في صحيح الجامع: ٢١١٦].

فقد نص الحديث الشريف على دمشق، وأنها من خير مدائن الشام، وحديث زيد (طوبى للشام كله، ودمشق خير مدائنه)، وقال العلقمي في هذه الخيرية: هذا الحديث يدل على فضيلة دمشق، وعلى فضيلة سكانها في آخر الزمان، وأنها حصن من الفتن، ومن فضائلها أنه دخلتها عشرة آلاف عين رأت النبي صلى الله عليه وسلم كما أفاده ابن عساكر، ودخله النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة - أي الشام - وبعدها في غزوة تبوك وفي ليلة الإسراء. [عون المعبود، شرح سنن أبي داود ٩/١٣٦٨].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثاً من الموالي أكرم

العرب فرسًا وأجودهم سلاحًا يؤيد الله بهم الدين». [حسنه الألباني، فضائل الشام: ص٢٨].

والملاحم ما يقع من قتال بين المسلمين والكفار، ويخرج من دمشق في هذه الملاحم لقتال الكفار أفضل البعوث التي تؤيد دين الله سبحانه، والشام أفضل البلاد، واختارها الله سبحانه لاستقبال آية عظيمة وعَلَم شامخ من أعلام الآخرة وهو عيسى ابن مريم عليه السلام؛ حيث ينزل يحكم بالشريعة الإسلامية، ويملأ الأرض عدلاً بتحكيم هذه الشريعة، ويَقْتُلُ على تراب هذه البلاد المباركة أعظم فتنة حذر منها جميع الأنبياء والمرسلين، وهو المسيح الدجال، وحدد النبي صلى الله عليه وسلم مكانَ وجهة نزول عيسى عليه السلام فقال: «ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق». [رواه مسلم].

فيزداد الشام بركة على بركة؛ الأولى ما ورد في قوله تعالى: «سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ» [الإسراء:١]. وقوله صلى الله عليه وسلم: «طوبى للشام». والثانية: بعد نزول عيسى عليه السلام وإقامته للعدل في الأرض، بدءًا بالشام «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ» [الأعراف:٩٦].

وهذا ثناء معاوية رضي الله عنه بقوله بعد ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق حتى يأتي أمر الله». وإني أراكموهم يا أهل الشام. [مسند الطيالسي: ٧٢٤].

ثانيًا: دعاء رسول الله ﷺ للشام:

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، وأنه مجاب الدعاء، فقد دعا للشام، فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا». قالوا: وفي نجدنا. قال: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا». قالوا: وفي نجدنا. قال: «هنالك الزلازل والفتن». أو قال: «فيها يخرج قرن الشيطان». [البخاري ٧٠٩٤].

وقال ابن بطال في شرح البخاري: ترك الدعاء لأهل المشرق ليضعفوا عن الشر الذي هو موضوع في جهتهم، ولاستيلاء الشيطان عليهم بالفتن كما دعا على أهل مكة بسبع كسبع يوسف ليؤدبهم، وكذا دعا أن تُنقل الحمى إلى الجحفة، وقرن الشيطان أمته وحزبه، وقال كعب: الدجال يخرج من العراق، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: يخرج من كور من الكوفة. [شرح ابن بطال: ٢٨/٣].

وقال أيضًا: وكانت الفتن من ناحية المشرق بدايتها قتل عثمان ووقعة الجمل، وصفين، ثم ظهور الخوارج في أرض نجد والعراق وما وراءها من الشرق، وقال الأشرف: دعا لهما بالبركة؛ لأن مولده بمكة وهو اليمن ومسكنه ومدفنه بالمدينة وهي من الشام وأضافهما إلى نفسه، وأتى بضمير الجمع تعظيمًا، وكرر الدعاء.

وقال الخطابي: نجد من جهة الشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض وهو خلاف الغور، ونجد ليس موضعًا مخصوصًا، بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى المرتفع نجدًا، والمنخفض غورًا، والزلازل قد تكون حسية أو معنوية وهي التي تزلزل القلوب، والفتن البليات والمحن الموجبة لضعف الدين وقلة الديانة، فلا يناسبه دعوة بالبركة.

قلت: ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم مُجاب، وحلت البركة في الشام واليمن بالأخص في مكة والمدينة، كما قال الأشرف، فمكة يجبى إليها ثمرات كل شيء، وهي آمنة بتأمين الله سبحانه لها، وكذا المدينة

حرّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلاهما في أمن من دخول الدجال إليهما، وكذا بيت المقدس بُورك حوله: «سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ» [الإسراء:١].

و«باركنا حوله» أبلغ من «باركنا فيه»؛ حيث تعني أنه امتلأ بالبركة، وفاضت منه البركة على ما حوله حتى شملت كل الشام.

ثالثا: وصية رسول الله ﷺ بالشام:

عن عبد الله بن حَـوَالَـةَ قـال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم ستُجندون أجنادًا: جندًا بالشام، وجندًا بالعراق، وجندا باليمن. قال: قلت: يا رسول الله! خِرْ لي؟ قال: عليك بالشام، فمن أبى فَلْيَلْحَق بيمنه وليَسْق من غدره، فإن الله تكفل لي بالشام وأهلَه. [صحيح ابن حبان: ٧٣٠٦، وصححه الألباني].

وتكفل لي: تضمن بأن لا يخرِّبهُ بالفتنة، وأن الله يحفظ أهل الشام ويكلؤهم. وفي رواية عند أبي داود: «عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده، فإن أبيتم فعليكم بيمنكم». [سنن أبي داود، وصححه الألباني].

ومن وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشام: عن أبي قلابة عن سالم، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ستخرج نار من حضرموت، بحضرموت، قبل يوم القيامة تحشر الناس». قلنا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: «عليكم بالشام». [الترمذي ٢٢١٧ وصححه الألباني].

وعن بهز بن حكيم بن معاوية القشيري قال: يا رسول الله، أين تأمرني، فقال: هاهنا، وأومأ بيده نحو الشام. قال: «إنكم تحشرون رجالاً وركبانًا وتجرون على وجوهكم» [صحيح الجامع للألباني ٢٣٠٢].

رابعا: صلاح الشام علامة صلاح الأمة:

عن معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة». [سنن الترمذي وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٤٠٣].

قلت: هنيئًا لأهل الشام هذا البيان من المصطفى العدنان بأن صلاح أهل الشام علامة على صلاح الأمة، وإذا فسد أهل الشام فلا خير في الأمة، فليعضوا عليها بالنواجذ، ويصلحوا قلوبهم، ويتعاهدوها، ويتعاهدوا إيمانهم فيعملوا بما يزيده، ولا يقترفوا ما ينقصه، لأنهم صفوة الأمة، وحملة الإيمان والقرآن بشهادة من لا ينطق عن الهوى، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «إني رأيت الملائكة في المنام أخذوا عمود الكتاب فعمدوا به إلى الشام، فإذا وقعت الفتن فإن الإيمان بالشام». [صححه الألباني، فضائل الشام برقم ١٠].

ومعلوم أن المخرج من الفتن الاعتصام بالكتاب والسنة، وأنهما قد أقامهما الملائكة بالشام من خلال رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم أخذوا عمود الكتاب ووضعوه بالشام، فعليكم بأهل الشام حِمْل ثقيل قدِّروه قدره، فأقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، وخذوا الكتاب بقوة واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وكونوا حيث يحب ربُكم ورسولَه، ولا تكونوا حيث يكره ربكم ورسولَه، أنتم شامة الأمة، ومنارة الصلاح، وأنتم مَحل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

أسأل الله لكم نصرًا عاجلاً على أعداء دينه، وثباتًا في وجه أهل الطغيان والكفران. اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا، وجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم انصر الضعفاء في بلاد الشام، وطهر الأرض من المفسدين والمتجبرين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

مع الدعاة

موقف الدعاة من اختيار رئيس البلاد

إعداد/ د. محمد يسري

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن عظم المسئولية وثقل الأمانة الملقاة اليوم على عاتق المصريين يحتم على أهل العلم والدعوة أن يقدموا النصح للأمة بشأن اختيار رئيس البلاد، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». [أخرجه مسلم، (٥٥)].

وأن يوضحوا للأمة كيفية النظر في هذه المسألة، وفق قواعد الشرع المطهر، ومساهمة في هذا الأمر الجلل هذه جملة نقاط مهمة:

أولاً: المرشح الرئاسي الذي لا ينتسب إلى الإسلام والسنة عقيدةً وشريعة ليس محل قبول أو ثقة مهما أعطى من وعودٍ براقة، ولا يحل بحالٍ ترشيح مخالف لأحكام الشريعة.

ثانيًا: الأصل في المرشح الذي يستمطر معونة الله في حمل أمانته والقيام بعبء مسئوليته أن يُراد للرئاسة وألا يريدها، وأن يدعى إليها لا أن يطلبها، وعلى أهل الحل والعقد اليوم ألا يقتصروا في الاختيار على من رشح نفسه، فإن هذا خلاف الأصل الشرعي: «إنا لا نولي هذا الأمر من طلبه»، «لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وُكلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أُعنتَ عليها» متفق عليه، ومع القول بجواز التقدم والترشح في ظروفنا الحالية إلا أنه على أهل الحل والعقد أن يتصفحوا أحوال المتاهلين ليقدِّموا أمثلهم، وألا يكتفوا باختيار من بين من رشح نفسه فقط، وهذه مسئوليتهم التي أنيطت بهم عبر التاريخ.

ثالثًا: إن انفراد شخص ما مهما كان قدره أو جماعة أو هيئة مهما كان وزنها بهذا الأمر، والاستقلال به عن غير مشورة أو مناصحة مع بقية الجهات الاعتبارية ليس من الرشاد ولا من طريق السداد في قليل أو كثير، كما أن المواقف المتشنجة في دعم مرشح ما، والقطع في مسألة اجتهادية كهذه بأيمان أو بأثام للآخرين ضيقُ عطنٍ؛ على الدعاة أن يتنزهوا عنه.

رابعًا: بغض النظر عن شكل الدستور القادم والدولة المقبلة، وهل هي رئاسية أم برلمانية أم مختلطة، فسيظل إحسان اختيار الرئيس مطلبًا مهمًا وشأنًا خطيرًا في بلد بوزن مصر الحبيبة، ولا يصلح التفريط في تقديم أنسب المرشحين في ظل ظروفنا الحالية.

خامسًا: الأصل في المرشح المنتسب للإسلام والسنة أن يكون توافقيًا مع بني قومه لا تصادميًا، وذلك في حدود الشرع وضوابطه، ولن يُقبل بتوافق يجمع التناقضات بين الإسلام وغيره.

سادسًا: عند المفاضلة بين المرشحين المحتملين يتعين النظر للظرف الداخلي وملابساته، وللشأن العالمي وتعقيداته، كما يتعين النظر في مواصفات المرشح الشخصية وإمكاناته التنفيذية وخبراته العملية، لما لذلك من وثيق الصلة بالترجيح بين المرشحين المحتملين.

سابعًا: من الشأن الداخلي المعتبر عند النظر في هذا الأمر ما يلي:

١- سوف يتحمل الرئيس القادم مع الحكومة والبرلمان أعباء ومشاكل وتبعات عقود من الأنظمة المستبدة، وهذا يعني اقتصادًا منهارًا، وبنيةً مفككةً للدولة، وفسادًا مستشريًا داخل كل الأجهزة تقريبًا، وتنفذًا لفلول النظام السابق في معظم القطاعات، وهو ما سيكون عقبةً حقيقيةً أمام مشروع النهضة واختبارًا صعبًا للجميع، ووضعًا للنموذج الإسلامي على المحك العملي.

٢- إن المضي قدمًا في النموذج الإسلامي للحكم أمرٌ له تبعاته الداخلية، والتي ستطال الشعب المصري برمته، فلا بد من تهيؤ للتضحيات، وقبول بتحمل مزيد من الضغوط الاقتصادية في الجوانب المعيشية، فهل مظاهرات المصريين اليوم وإضراباتهم الفئوية التي تطالب بتحسين اقتصادهم وزيادة دخلهم تدل على استعدادهم لمزيد من الضغوط؟ ذلك كله في ظل دَيْن إجمالي قدره تريليون ومائتي مليار جنيه.

٣- لقد تسنم الدعاة إلى الله القيادة اليوم على حين من انشغال بالدعوة لا الدولة، فأسسوا أحزابًا، واستحدثوا أعمالاً وتخصصات جديدة في كياناتهم، وهي تحتاج إلى وقت ما لتؤتي ثمارها في قيادات شابة وكفاءات طموحةٍ، وسيحتاج الجميع إلى وقتٍ تجري فيه عملية إحلال وإبدال.

٤- لدى المشروع الإسلامي اليوم معارضون كُثر يتملكون ناصية الإعلام ، ومن أصحاب المصالح ورجال الأعمال الفاسدين، وهنا قلة نصرانية تسعى لإشعال الحرائق بين المسلمين وغيرهم، متواصلين في ذلك مع بعض من يسمون بأقباط المهجر وأعداء الإسلام.

٥- تدفقت على البلاد اليوم عبر الحدود البرية الليبية والسودانية كميات كبيرة من الأسلحة التي لا يدرى مصيرها ولا سبب دخولها، ولا توقيت استعمالها حتى الآن، وهذا الشأن يلاحق أمنيًا كما هو معلوم.

٦- تدفقت أموال على البلاد عبر السنة الماضية وأُودعت لدى جمعيات ومنظمات لا يُدرى مصيرها ولا أسباب دخولها ولا توقيت استعمالها حتى الآن، وهذا الشأن يُنظر قضائيًا كما هو معلوم.

٧- بين جهاز الشرطة والمصريين بشكل عامٍّ وحشة، وبين الأجهزة الأمنية والدعاة إلى الله تعالى في العهد البائد خصومة ومظالم، وعداوات تربت عليها أجيال، وبدرجة أقل وبصورة أخفَّ الموقف من الحكم العسكري، وذلك كله مما يجب اعتباره عند النظر في الشأن الداخلي لخصوصية العلاقة بين الرئيس ومؤسسة الداخلية والمؤسسة العسكرية.

وفي الشأن الخارجي ملامح يتعين التنبه لها منها:

١- وجود مخططات تفكيك البلاد وتقسيمها بغية إضعافها، وإضعاف جيوشها، ويلاحظ تفكيك الجيش العراقي والليبي وسقوط السوري، وتفتت السوداني، وضعف الجيوش الخليجية بشكل عام، والرهان الآن على الجيش المصري الباسل، والذي يبدي تماسكًا أمام مؤامرات كثيرة لانقسامه وانهياره من أعداء الخارج والداخل، وللأسف من بعض الطيبين ذوي النوايا الحسنة.

٢- توتر الحدود المصرية الإسرائيلية والليبية وتقسيم السودان، والتغلغل اليهودي في إفريقيا وفي منابع النيل، ووجود الناتو في قلب المنطقة العربية (ليبيا)، والسواحل قبالة فلسطين، إضافة إلى أمريكا في الخليج.

٣- حالة الاستنفار والاستعداء الغربي ضد ما يجري على أرض مصر ومحاولات الضغط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإعلامي المستمرة، وأخيرًا التلويح باستخدام القوة الصلبة بدلاً من الناعمة.

٤- تشكيل محور دولي يعمل ضد الثورة المصرية، ويسعى لإفشالها وإجهاض التجربة المصرية عامة، وتشويه الجانب الإسلامي منها بشكل أخص، وذلك لأسباب معروفة لا تخفى.

ثامنًا: تطلب في الرئيس القادم بخصوصه المواصفات الشخصية التالية:

١- أن يكون قويًا في شخصيته، قويًا في ديانته، أمينًا على مسئوليته.

٢- أن يحسن إدارة العلاقات والتوازنات السياسية داخليًا وخارجيًا.

٣- أن يكون ذا صفات أخلاقية راقية، وحضور إعلامي، وجماهيرية وقبول شعبي، وذكاء فطري.

٤- ألا يكون مستبدًا برأيه بحكم سيرته وشخصيته، شوريًا في طريقته ومنهجيته.

٥- أن يكون قادرًا على الإدارة التنفيذية، ممارسًا لها من قبل، متمكنًا من التواصل والعمل تحت الضغوط المختلفة.

٦- ألا يكون جبانًا ضعيفًا ولا متهورًا عجولاً يورد الأمة موارد الندامة.

نسأل الله أن يوفق أهل الحل والعقد في الأمة اليوم إلى خير من بحضرتها من ولاة أمرها، ونسأله تعالى أن يولي أمورنا خيارنا، وألا يولي علينا إلا من يخافه ويتقيه، إنه أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين.

التأمين التجاري والتأمين التعاوني

أقسام التأمين التجاري

إعداد: د/ علي أحمد السالوس
أستاذ فخري في المعاملات المالية والاقتصاد الإسلامي بجامعة قطر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

تحدثنا في العدد السابق عن نشأة التأمين، وأنواعه، ونكمل ذلك فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أقسام التأمين التجاري

ينقسم التأمين التجاري من حيث موضوعه إلى قسمين رئيسين:

أولا: تأمين الأضرار:

ونرى هذا في التأمين على بعض الممتلكات، كالتأمين ضد السرقة أو الحريق، وغير ذلك مما شاع في عصرنا، فيعوض المستأمن بالمبالغ المتفق عليها في وثيقة التأمين عند حدوث الخطر المؤمن من أجل الوقاية من أضراره، ويلاحظ هنا أن شركة التأمين عند دفع التعويض تنظر إلى مبلغ التأمين المتفق عليه، ونسبة الضرر: فمثلاً إذا كان تأمين الحريق على بيت قيمته ثمانمائة ألف، بمبلغ أربعمائة ألف، ثم شب حريق التهم نصف البيت، أي ما يساوي أربعمائة ألف، فإن الشركة لا تدفع المبلغ المتفق عليه كاملاً، وإنما تدفع نصفه فقط، وهو نسبة الضرر الذي أصاب البيت.

ونرى تأمين الأضرار أيضًا في التأمين من المسئولية، مثل مسئولية المؤمن له عن حوادث السيارات أو العمل، أو أي ضرر يصيب أموال الغير ويكون مسئولاً عنه، فتقوم شركة التأمين بتعويض المؤمَّن له عند حدوث الحادث بأقل المبلغين: مبلغ التأمين المتفق عليه، والمبلغ الذي يلتزم بدفعه لمن أصابه الضرر.

ثانيًا: تأمين الأشخاص:

يراد بالتأمين على الأشخاص التأمين من الأخطار التي تتصل بالإنسان نفسه من حيث حياته أو صحته أو سلامته.

ويشمل هذا التأمين: التأمين على الحياة، والتأمين من الحوادث الجسمانية.

التأمين على الحياة:

التأمين على الحياة عقد يلتزم بمقتضاه المؤمّن مقابل أقساط بأن يدفع لطالب التأمين، أو لشخص ثالث، مبلغًا من المال عند موت المؤمَّن على حياته، أو عند بقائه مدة معينة.

وتسعى شركات التأمين لإغراء الناس، بل سلب أموالهم برضاهم، بإيجاد أنماط مختلفة، وصور متعددة لهذا التأمين، وأشهرها التأمين لحالة الوفاة، والتأمين لحالة البقاء، والتأمين المختلط.

الحالة الأولى: التأمين لحالة الوفاة:

حيث يدفع مبلغ التأمين عند وفاة المؤمن على حياته، وله صور:

الصورة الأولى: التأمين العمري أو لمدى الحياة:

حيث يدفع مبلغ التأمين للمستفيد عند وفاة المؤمن على حياته، فإذا كان التأمين لمدة معينة، عشرين سنة مثلاً، ومات المؤمن على حياته قبل المدة، سقطت أقساط التأمين، واستحق المستفيد مبلغ التأمين كاملاً، وإن عاش المؤمن على حياته بعد المدة توقف عن دفع الأقساط، ولكن لا يصرف مبلغ التأمين للمستفيد إلا بعد وفاة المؤمن عليه.

وفي هذه الحالة إذا نظرنا إلى المدة التي تبقى فيها أقساط التأمين في ملك الشركة، والفوائد الربوية التي تحصل عليها، عرفنا المبالغ الطائلة التي تحصل عليها، وضآلة ما تدفعه من مبالغ التأمين، والذي أمن لمدة عشرين سنة ومات بعد مدة قصيرة، قد تكون أيامًا، فإن الشركة تخسر مبلغ التأمين.

ومن هذا الواقع العملي ندرك ما ذكر من قبل من

التحريم من أجل الربا والقمار والغرر الفاحش.

الصورة الثانية: التأمين المؤقت:

والقمار فيه واضح جلي، فالمؤمَّن على حياته يدفع قسط التأمين، على أن تلتزم شركة التأمين بدفع مبلغ التأمين للمستفيد إن مات المؤمن على حياته خلال مدة معينة، فإن لم يمت ضاع ما دفعه ولا تدفع شركة التأمين شيئًا، وتأخذ المبالغ دون مقابل.

الصورة الثالثة: تأمين البقاء؛ أي بقاء المستفيد حيًا بعد موت المؤمن عليه:

والقمار فيه واضح أيضًا؛ فشركة التأمين تدفع مبلغ التأمين للمستفيد إن بقي حيًا بعد موت المؤمن على حياته، ولكن إذا مات المستفيد قبل المؤمن على حياته انتهى التأمين، وضاعت أموال المؤمن على حياته.

الحالة الثانية: التأمين لحالة البقاء؛ أي بقاء المؤمن على حياته، على عكس الحالة الأولى حالة الوفاة.

والقمار هنا واضح جلي أيضًا.

فطالب التأمين يدفع مبلغًا معينًا لشركة التأمين؛ حيث تلتزم بدفع مبلغ معين أيضًا للمؤمن عليه في وقت محدد إن ظل حيًا إلى ذلك الوقت، فإن مات قبل الوقت المحدد انتهى التأمين، وضاعت الأموال التي دفعها المؤمن عليه، ولا يستفيد منها ورثته.

الحالة الثالثة: التأمين المختلط:

وهو يجمع بين حالتي التأمين لحالة الوفاة والتأمين لحالة البقاء، ولذلك سُمي مختلطًا.

وفي هذه الحالة تلتزم شركة التأمين بدفع مبلغ التأمين إلى المستفيد إذا مات المؤمن على حياته في خلال مدة معينة، أو تدفعه إلى المؤمن على حياته هو نفسه إذا ظل حيًا عند انقضاء هذه المدة، ولذلك فإن أقساط التأمين أكبر من الحالتين الأوليين.

التأمين من الحوادث الجسمانية:

هذا هو النوع الثاني من نوعي التأمين على الأشخاص، بعد التأمين على الحياة:

وفي هذا النوع تلتزم شركة التأمين بدفع مبلغ من المال إلى المؤمن عليه في حالة إصابته بحادث جسماني خلال مدة التأمين، أو إلى المستفيد المعين إذا مات المشترك في التأمين.

والتأمين الصحي يلحق بهذا النوع، وقد يشمل جميع الأمراض، وقد يقتصر على الأمراض الجسمية، أو على العمليات الجراحية، أو على بعض الأمراض، ووثيقة التأمين تحدد الخطر المؤمن منه، وهو ما تلتزم به شركة التأمين.

إعادة التأمين:

شركات إعادة التأمين بدأ ظهورها سنة ١٨٤٦م، ثم توالى ظهورها بعد ذلك.

وهذه الشركات الذي يتعامل معها شركات التأمين نفسها.

فشركات التأمين قد تجد أن التزاماتها تفوق طاقتها، أو تسبب لها حرجًا عند عجزها عن أداء بعض التزاماتها، أو تزيد من أعبائها بقدر لا ترغب فيه، وعندئذ تلجأ إلى شركات إعادة التأمين، فتكون شركة التأمين كالمؤمن عليه، وإعادة التأمين تكون هي المؤمن، أي كشركة التأمين بالنسبة للمؤمن عليه، وذلك نظير قسط متفق عليه بين الشركتين مقابل الخطر الذي تتحمله شركة إعادة التأمين، والاتفاق هنا بالتراضي، وغالبًا ليس عقد إذعان، لقوة شركة التأمين، وتعدد شركات إعادة التأمين.

ويمكن تلخيص أسلوب إعادة التأمين في الصور الثلاث الآتية:

الصورة الأولى: إعادة التأمين بالمحاصة:

ومعنى ذلك أن شركة إعادة التأمين تشترك في دفع التعويضات مع شركة التأمين المباشر بالمحاصة في جميع عمليات التأمين التي تقوم بها الشركة الأخيرة، أو بالمحاصة في مجموع العمليات الخاصة بنوع معين من أنواع التأمين التي تباشرها الشركة، بأن ينص في العقد على أن تكون حصة شركة إعادة التأمين هي نصف جميع العمليات أو ربعها مثلاً، أو الاشتراك في بعض الأنواع، أو في نوع فقط كتأمين الأشخاص.

وهذه الصورة هي ما يعرف باتفاقية المشاركة.

الصورة الثانية: إعادة التأمين فيما يجاوز حد الطاقة:

وبيان هذه الصورة أن شركة التأمين المباشرة تتفق مع شركة إعادة التأمين على أن تقوم الثانية بتحمل مخاطر التأمين التي تفوق طاقة الشركة الأولى، ولهذا سميت الاتفاقية التي من هذا النوع باتفاقية الفائق، ذلك أن شركة التأمين المباشرة تقوم بتغطية قدر من المخاطر حسب طاقتها، ثم تعهد إلى الشركة إعادة التأمين بالمخاطر التي تفيض عن طاقتها؛ أي تجاوز هذه الطاقة.

الصورة الثالثة: إعادة التأمين فيما يجاوز حدًا معينًا من الخسائر.

وفي هذه الحالة تتولى شركة إعادة التأمين الزيادة التي تجاوز الحد المتفق عليه.

الحكم الشرعي للتأمين وإعادة التأمين:

ظهر فيما سبق أن التأمين التجاري يقوم على القمار، والغرر الفاحش، إلى جانب الربا، فالحكم أصبح واضحًا جليًا.

ورأينا أن التأمين التعاوني لا يهدف إلى الربح، وأنه من باب التعاون على البر، وسيأتي لهذا مزيد بيان، غير أننا وجدنا في بعض الحالات دخول الربا في استثمار الأموال المدخرة، وإن كنت في العرض السابق أشرت من وقت لآخر إلى تحريم الربا التجاري، غير أنني لم أقصد إصدار فتوى، وإنما بينت ما أظهره الجانب العملي، ونترك الفتوى للاجتهادات الجماعية، والمجامع الفقهية.

وأريد فيما بقي من هذا البيان الموجز أن أتناول بداية الحكم على عقد التأمين، وتطور الفتوى، والاتجاهات المختلفة.

بداية الحكم على التأمين:

من المعلوم أن أئمة الفقه، وعلماء الشريعة في القديم، ليس لهم أبحاث في التأمين، وما تعرضوا لبيان حكمه، وظل الأمر هكذا إلى النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وأول من تكلم في التأمين الفقيه الحنفي: ابن عابدين – المتوفى سنة ١٢٥٢هـ – في حاشيته الشهيرة: «رد المحتار على الدر المختار» (١٧٠/٤):

«مطلب مهم فيما يفعله التجار من دفع ما يسمى سوكرة، وتضمين الحربي ما هلك في المركب».

والمقصود بالسوكرة التأمين، وتحت هذا العنوان تحدث عن مفهوم التأمين البحري، ثم قال: «الذي يظهر لي أن لا يحل للتاجر أخذ بدل الهالك من ماله؛ لأن هذا التزام ما لا يلزم».

فإن قلت: إن المودع إذا أخذ أجرة على الوديعة يضمنها إذا هلكت، قلتُ: ليست مسألتنا من هذا القبيل، لأن المال ليس في يد صاحب السوكرة، بل في يد صاحب المركب. وإن كان صاحب السوكرة هو صاحب المركب يكون أجيرًا مشتركًا، قد أخذ أجره على الحفظ وعلى الحمل وكل من المودع والأجير مشترك لا يضمن ما لا يمكن الاحتراز عنه كالموت والغرق ونحو ذلك».

فابن عابدين يذهب إلى أن التأمين غير مشروع.

وللحديث بقية إن شاء الله.

مجلة التوحيد

«علم نافع لايستغني عنها البيت المسلم»

مجلة التوحيد مجلة دينية علمية ثقافية تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر مطلع كل شهر عربي

مجلة التوحيد من أوسع المجلات الإسلاميةفي مصر والعالم العربي انتشاراً

مجلة التوحيد تؤصل الأحداث تأصيلاًشرعياً من خلال نخبة من الكتاب والعلماء من مصر والعالم الاسلامي

ومفاجأة كرتونة مجلة التوحيد بها أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية

سعر الكرتونة ٧٥٠ جنيهاً مصرياً

سعر المجلد الجديد ٢٥ جنيهاً مصرياً

مجلة التوحيد موجودة لدى باعة الجرائد وفروع أنصار السنة المحمدية بمصر والمكتبات







مصر ٢٠١٣م
دراسة تحليلية لعملية التحول السياسي في مصر: مراحلها مشكلاتها سيناريوهات المستقبل
تأليف / أحمد فهمي
النفوذ الإيراني الناعم في القارة الأفريقية
الدولة الإيرانية محددات القوة وعوامل الضعف
التمويل الغربي وشراء الفكر في العالم العربي
الخيارات السياسية للتيارات السلفية
الحسبة السياسية والفكرية
حركة التغريب في السعودية
الحوثية في اليمن
خلاصات استراتيجية